الكسندر بلوك

مختارات شعرية

نقلها الى العربية

د. ابو بكر يوسف

نقلها الى العربية : د . ابو بكر يوسف

АЛЕКСАНДР БЛОК
Избранные стихотворения и поэмы
На арабском языке

Б 4702010200-204 / 031(05)-86 066-85

© الترجمة الى اللغة العربية ، دار «رادوغا» ، ١٩٨٥ ، طبع فى الاتحاد السوفييتى

مسيرة الشاعر

بقلم : فلاديمير أرلوف

١

كان الكسندر بلوك فى التاسعة عشرة من عمره عندما كتب فى نهاية القرن الماضى قصيدة عن طائر الهمايون ، ذلك الطائر الاسطورى الذى أضفت عليه الاساطير الشعبية الروسية القديمة صفة التنبؤ بالغيب . وتبدو هذه القصيدة وكأنما مقدمة أو شعار لابداع بلوك كله . فلاول مرة ترددت هنا

نبرة القلق الجنونى والشوق الظامئ الى الحقيقة الانسانية المقدسة ، اللذين جعلا من الكسندر بلوك شاعرا قوميا عظيما . لقد تنبأ صوته ، الذى كان ما يزال صوت صبى ، غضا ، لم يستقر بعد ، بالاعدامات الدموية والحرائق المستعرة ، وبقوة الاشرار وهلاك الابرار ، تنبأ بما حدث فى روسيا القيصرية القديمة ، روسيا البرجوازية وهى على وشك انهيارها التاريخى .

والوجه الجميل يشتعل حبا
وقد تملكه رعب النذير ،
والشفاه وقد تخثر عليها الدم
تنطق بالنبوءة — الحقيقة ! . .

ولم تمر سوى سنوات قليلة حتى اندلعت عاصفة الثورة الروسية الاولى عام ١٩٠٥ ، واصبح الكسندر بلوك هو طائر همايون روسيا ، شاعرها المتنبئ بالغيب ، الذى تنبأ بأحداث اشد رهبة واكثر ضخامة لا بد أن تقع . . «بتحولات لم يسمع بها» و «بتمردات لم يُرَ مثلها» .

لم يكن سهلا ولا بسيطا ذلك الطريق الابداعى الذى قاد الكسندر بلوك من العزلة الوجدانية والخيالات الغيبية الى الوطن ، الى الشعب ، الى ثورة اكتوبر العظمى . فلكى يقطع الشاعر بجدارة هذا الطريق ، الذى وصفه هو نفسه وصفا بالغ الدقة حينما قال انه «طريق وسط الثورات ، طريق **الصواب**» ، ولكى يرتفع بذلك فوق الوسط الاجتماعى — الادبى المحيط به ، كان لا بد من توفر طاقات روحية كبيرة . وقد حبت الطبيعة الكسندر بلوك هذه الطاقات بسخاء .

وكانت الموهبة بالطبع اساس كل ذلك . . الموهبة الوجدانية الهائلة . انها شباب الروح الخالد ، وحرارة القلب المستعرة ابدا ، والعاطفة الجياشة ، والحنين الجارف والشوق الظامئ الى

الحياة . . اى كل ما لا يمكن ان تقوم للشعر قائمة بدونه .

بيد ان بلوك ما كان ليصبح شاعرا قوميا عظيما بحق لو لم يكن متمتعا بثلاث خصال اخرى على الاقل لا تقدر بثمن : الاخلاص المتفانى ، والضمير الذى لا يهادن ، والاحساس العالى بمسئولية المواطنة . وكان كل ذلك لدى بلوك مرهفا الى اقصى الدرجات .

وما أحمله فى قلبى
من حب وكراهية
لا يقوى البشر على حمله . . .

ادان الكسندر بلوك باحتقار بالغ و«حقد مقدس» تلك «الحياة الكاذبة» فى عالم «المتخمين» و «الراضين» العفن ، وادرك مدى لا انسانية هذا العالم فسماه «المرعب» ، ولكنه ابصر تحت هذا العفن والتحلل الوجه الآخر للوطن ، الوجه الجديد الذى كان يطل من الظلام المحيط «وجه روسيا التى شبّت على قوائمها ، وتفجرت غضبا ، تمزق اغلالها» .

وخلف كل ما كتبه الكسندر بلوك وفكر فيه عندما اصبح شاعرا عظيما ، تلوح صورة انسان وفنان متشدد ، بل وقاس ، فنان اختار ان يحمل على عاتقه صليب **الخدمة** الثقيل ، فنان يعيش «فى لهيب القلق وصقيعه» ، يحتقر شتى انواع المسكنات الروحية الرخيصة والسفاسف البراقة التى كان يتهافت عليها اولئك الذين كانوا يؤلفون الوسط الادبى المقرب منه .

ولكن تحت المظهر الخارجى الصارم للشاعر — الفارس كان ينبض بقوة قلب صادح ، وتتأجج روح يافعة ، جياشة بكل ما يثير الاعجاب فى العالم ، متجاوبة مع الخير والحرية . ومن هذا التوافق المدهش بين تلك الصرامة وذلك الاحتراق ولد ما نسميه شعر الكسندر بلوك .

ولو ان الزمن الذى عاش فيه بلوك وابدع كان زمنا مسالما ، راكدا ، فمن يدرى ، ربما اتخذ شعره مسارا هادئا ، مطمئنا . لكنه كان زمنا عاصفا ، وهو بالذات ، هذا الزمن العظيم ، المعقد ، الصعب ، الذى صاغ شعر بلوك القلق ، المشبوب ، المأساوي . ففيه وجه الوطن الذى شوهه العذاب وان لاحت فيه مسحة الجمال الخالد ، وفيه ارادة النضال من اجل حياة عادلة مشرقة مشرقة ، وفيه صوت الواجب ، الذى بدونه — كما اكد بلوك — لا يمكن ان تكون حياة او عاطفة او ابداع ، وفيه روح التمرد ، والقلق الروحى الابدى ، والاحساس المرهف بالمستقبل . . .

معركة الى الابد ! والراحة محض حلم
تلوح فى الدخان والدماء

اننا هنا امام مثال نادر من حيث القوة التعبيرية على قدرة الحياة والتاريخ على صياغة الفن العظيم .

٢

تمر الساعات والايام والسنون
أبغى ان انفض عني حلماً . .
أتفرس فى وجوه الخلق والطبيعة
أبدد عتمة الازمان . . .

هذا هو ما حدّد جوهر وروح البحث الفكرى والفنى لالكسندر بلوك . فعتمة ذلك الزمن الذى عاش فيه وابدع ، او بالاحرى ، العتمة التى غلّفت تلك الدائرة الادبية (الرمزية

المميزة لمرحلة الانحطاط) التى كان بلوك ينتمى اليها شكليا . . هذه العتمة كانت تحجب عنه الرؤية احيانا . ولكن الحياة رغم ذلك كانت تعيد خلق الشاعر وتقوده وتعينه على ان ينفض عن نفسه «احلامه» الممضة .

وقد بدأ بلوك من «الاحلام» فعلا ، فغاص فيها كلية ، وراوده الوهم بامكانية تجديد العالم دينيا وخلقيا ، وبالبعث الروحى للبشرية الى حياة جديدة افضل . وتحت تأثير الافكار الفلسفية الرجعية (وخاصة فكرة افلاطون عن «ثنائية العالم») التى كانت «موضة» فى اوساط النخبة البرجوازية المثقفة آنذاك ، حاول الشاعر ان يجد فى الطوباويات الميتافيزيقيـــــة ، وفى الايمان الاعمى بالقوى «الاخرى» اجابة على اسئلة روحه وهواجسه .

وكان للفيلسوف الغيبى اللاهوتى والشاعر الوجدانى فلاديمير سولوفيوف ، الذى واصل افكار افلاطون والافلاطونيين الجدد المثالية ، تأثير كبير بصفة خاصة على بلوك الشاب . ولم تثر افكار سولوفيوف اللاهوتية اهتمام بلوك على الاطلاق ، لكن غيبية سولوفيوف وأفكاره الاخروية (عن «نهاية الكون» ومصائر البشرية) التى تلقاها بلوك وجدانيا ، وبشكل اساسى عبر اشعار سولوفيوف ، قد تركت فى نفسه انطباعا هائلا ، صاعقا . فكأنما قدمت لبلوك المفتاح لتفسير ما اعتوره من معاناة رومانسية غيبية اتحد فيها حبه لفتاة سرعان ما اصبحت زوجته باحساس مبهم «بمعان» و «تنبؤات» رائعة ، لا تدخل فى اطار المفاهيم المألوفة ولا تفسرها الكلمات المعتادة . . تلك المعانى والتنبؤات التى خيل للشاعر الشاب آنذاك «ان الهواء كان مشبعا بها فى آخر سنوات القرن القديم واولى سنوات القرن الجديد» .

لقد أعلن فلاديمير سولوفيوف ان العالم التاريخى بكل منطلقاته الاخلاقية قد تنكر للحقيقة الالهية واوغل فى الخطيئة

ويوشك ان ينهى دورة وجوده ، وان العصر الجديد الذى تنبأ به الكتاب المقدس يقترب ، فتسود على الارض السعادة والعدالة والمحبة المسيحية الحقيقية .

وهذا الجانب بالذات من مواعظ سولوفيوف هو الذى شدّ اليه بلوك بصفة خاصة وتجلى بقوة كبيرة فى اشعاره الوجدانية الشابة . فقد تلقى بلوك سولوفيوف وقدره بالدرجة الاولى «كمبشر بالمستقبل» تملكه «القلق المرعب والاضطراب» . . . «كبشير بتلك الاحداث التى كان مقدرا ان تحدث فى العالم» . وفى اشعار بلوك المبكرة يتجلى الاحساس الحاد بالوجود العالمى الخالد — معبرا عنه من خلال المعاناة الخاصة المرتبطة بأحداث حياته الشخصية الحميمة — الاحساس القادر ، فى اعتقاده ، على فتح الطريق امام المرء من الظلماء المحيطة به فى «الليل الحالك» الى «الضياء الكونى» ليوم «الغد الباهر» .

أومن بشمس العهد
أرى الفجر فى المدى
انتظر نور الكون
من دنيا الربيع
كل ما جاش بالكذب
يفر مذعورا
وأمامى الى اللاطرق
يمتد خط ذهبى

وهكذا ، بدلا من الفهم العقلانى للقوانين الواقعية للتطور الاجتماعى — التاريخى حلت فى وعى الشاعر المضبب بالغيبيات آمال طوباوية بوقوع معجزة كونية ما ، متجسدة فى صورة «الفجر» البعيد الجذاب .

ان اشعار بلوك الشابة قد أوحاها جو اسرار تتكشف ومعجزة

تتحقق . وفى هذه الاشعار الوجدانية تتمثل انطباعات الحياة الواقعية — كقاعدة عامة — فى صورة محوّلة ، مغيّبة . فكل ما فيها تقريبا «وجل ومظلم» ، مزعزع ، مضبب ، واحيانا لا يمكن الامساك به . . «مجرد «شبح» لاغنية ربيعية ، او مزقة من سماء ربيعية ، و «انعكاسات» ما ، و «نداءات» ما . . . وكل ذلك اشارات «لآمال ليست من هذا العالم» بظهور العذراء الخالدة (والتى هى العذراء — الفجر ، والزوجة الخالدة المهيبة ، والسيدة الجميلة) التى تجسد صورتها بالنسبة لبلوك مثالا جامعا ، ملهما ، الهيا ، مدعوا لانقاذ العالم وبعث البشرية الى حياة مثالية الكمال .

ومع ذلك فأشعار بلوك الوجدانية الشابة لا تقتصر على مثل هذه المواضيع والموتيفات . لقد كان احساس الشاعر الحى يقاوم الميتافيزيقا ، ويحاول النفاذ باصرار من ذلك الواقع المزيف الميثولوجى ، الذى كان الشاعر يعيش فيه «وسط الرؤى والاحلام وأصوات العوالم الاخرى» . ورغم الطابع الغيبى الغالب على اشعار بلوك المبكرة ، يتردد فيها صوت رنان نقى لا يمجد «الاعماق المشرقة» للعالم الوهمى الذى صنعه خيال الشاعر فحسب بل وفرحة وروعة الوجود الارضى فى هذا العالم :

صبّى . . نضير . . انا عاشق
يتقد الفؤاد بالحنين والعذاب والرجاء
مخضوضراً كثيقب تلفه الأسرار
يميل دائما اليك . . .

ولا جدال فى ان بلوك فى صباه المبكر كان ما يزال — على حد تعبيره — «محميا من ملامسة الحياة الخشنة» (وبتعبير ادق : من ملامسة الواقع التاريخى لحياة روسيا) بنمط تفكيره المثالى المجرد ، وبالتربية المنغلقة فى كنف أسرة من النبلاء

القدامى ، رفيعة الثقافة ، ولكنها منغلقة على نفسها للغاية ، وبطبيعة معاناته الروحية آنذاك . غير أنه فى قرارة نفسه التى وان كانت منعزلة ، الا انها حساسة ومشبوبة ، وتحت غطاء التأمل والاستغراق الذى بدا ثقيلا محكما ، كان يتدفق سيل شعر حقيقى مفعم باللهيب والقلق . ولذا كان محقا حين قال فيما بعد :

هذا الصبا ، هذه الرقة
ماذا كانت لنا ؟
اليست هى التى صنعت
تمرد كل اشعاري ؟ . .

ومس نهوض الكفاح الثورى الذى بدأ مع اولى سنوات القرن الجديد فى روسيا بلوك الشاب . وغمرت الحياة الواقعية ، الملتهبة ، الحياة الروسية فى اندفاعها الفوار الشاعر ورفعته على سيف موجتها . فرأى رأى العين تناقضات الواقع الصارخة : جوع الجوعى وشبع المتخمين ، فصرخ ضميره .

وفى نوفمبر عام ١٩٠٣ كتب بلوك قصيدة «المصنع» التى يمكن اعتبارها نقطة تحول فى درب الشاعر . فلاول مرة يتحدث فى هذه القصيدة عن سلطان الغول الرأسمالى الذى لايرحم :

اسمع كل شيء من عليائى
اسمعه بصوته المدوى
يدعو الرجال الواقفين
كى يحنوا ظهورهم المكدودة
سيعبرون ثم يتفرقون
حاملين الاكياس على الظهور

وفى النوافذ الصفراء سوف يضحكون
اذ خدعوا هؤلاء الشحاذين .

وساعدت احداث عام ١٩٠٥ كثيرا فى تحول بلوك . فقد تبددت فى مهب الريح لامبالاته السابقة بشتى انواع «الاجتماعيات» و «السياسة» ، فأصبح يتابع ما يجرى باهتمام نهم ، ويقضى اياما بكاملها فى شوارع بطرسبرج ، ويشارك فى المظاهرات الثورية (بل وحمل ذات مرة الراية الحمراء وهو على رأس مظاهرة) . ويكتب الى احد اصدقائه : «اننا ننتظر من انفسنا عواصف . . . القديم ينهار . ياله من زمن هام ! زمن عظيم !» .

وكتب بلوك آنذاك «امضى فى الطريق الممتد امام ناظرى . . .» . وبالفعل فقد سلك الطريق الواسع للشعر العظيم الموجه نحو العالم والوطن والبشر . ويتصدر اشعاره موضوعا روسيا والثورة ويتطوران فى تشابك وثيق .

وفي يوليو ١٩٠٥ كتب الشاعر قصيدة «حرية خريفية» التى تجلى فيها لاول مرة وبقوة آسرة ، احساس بلوك بالوطن كمخلوق حي «لا يستحيل معه المستحيل» وترتبط به «كل الدروب والآمال» :

لتأونا رحابك اللانهائية !
كيف السبيل الى الحياة والبكاء بدونك !

هكذا يخاطب بلوك روسيا الشعبية التى ايقظتها الثورة الاولى . ثم ظهرت فى نوفمبر قصيدة «الشباعى» حيث اطلق على العالم القديم الذى هزته العاصفة الثورية ولكنه صمد امامها وبدا انه ما يزال متأنقاً وقوياً ، اطلق عليه الوصف اللاذع «الحظائر العفنة» .

كانت سنوات سيطرة الرجعية بعد هزيمة الثورة الروسية الاولى هى الفترة التى شهدت نمو الكسندر بلوك الفكرى الابداعى العاصف . ففى الفترة من ١٩٠٨ الى ١٩٠٩ تحددت بوضوح قسمات موهبته الشعرية الهائلة من وجدانية رقيقة ، وهجائية لاذاعة ، وروح مواطنة ملتهبة ، وتفكير عميق فى الانسان والزمن وفى العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وفى القوة الفطرية والثقافة ، وفى الفن ورسالة الفنان ، وفى احتضار «العالم الرهيب» واقتراب الثورة .

لقد تلقى الكسندر بلوك هزيمة الثورة الاولى بمعاناة قاسية ، الا انه قدّر ما حدث تقديرا صحيحا باعتباره «نصرا عارضا» للقيصرية لن يكون فى مقدوره ان يغير حركة التاريخ المحتومة . وفى ظل الارهاب الرجعى العنيف والارتداد السياسى للمثقفين الليبراليين حدد بلوك موقفه الاجتماعى — الادبى بدقة . فرغم انه ظل بعيدا عن حياة الطبقة العاملة ونضالها ، فقد اصبح يرى فيها هى بالذات مقررة المصير التاريخى . ففى قصيدته التى كان عنوانها فى المخطوطة : «الى العامل» يتوجه بلوك بنداء متحمس الى العامل :

ألا فلتنهض ، ولتشتعل ، ولتحرق !
الا فلترفع مطرقتك الراسخة
كى يشع البرق ويمزق
حجب الظلام الصماء .
أحفر الارض القاسية كالحية
واخرج الى النور ، واشهد :
فخلف انتصارهم العارض
تتلبد الآفاق بغسق القبور

وبعدها لم يتخل بلوك عن موقفه هذا ابدا . وازداد حبه وغضبه التهابا . وحتى قبل قيام ثورة اكتوبر لم ير بلوك فى الكادحين مجرد ضحايا ذليلة للعمل القسرى ، بل ايضا «اناسا جددا» يخرجون الى ساحة التاريخ «من ظلام الاقبية» ، ليصنعوا الغد . ويتعالى الاحساس بالفعالية الاجتماعية لدى الشاعر ، فيتجه بكلماته الغاضبة الى اولئك الذين يصمون آذانهم ويغمضون اعينهم امام متطلبات الحياة :

اننى أرى : عذراواتكم عمياوات
وخبا اللهيب فى عيون الفتيان
الى الوراء ! الى الظلام ! الى الديناميس الصماء !
لا فأساً تحتاجون بل سوطا يُلهبكم !

وهو لا يرحم حتى نفسه لانه تعوزه البسالة كمواطن ، ولانه رغم حزنه الصادق على الفقراء والبؤساء ، «لا يريد ولا يجرؤ ان يقتل» :

لانتقم من الجبناء ، من عاشوا بلا لهيب
من أذل شعبى واذلنى !
من القى فى السجن بالاحرار والاقوياء
من ظل طويلا لا يصدق نورى .
من يريد بالنقود ان يحرمنى النهار
ويشترى منى طاعة الكلاب . . .

وفى زمن الرجعية الحالك تنبأ بلوك بمعارك جديدة اشد ضراوة من اجل حرية الشعب . فقد هتف فى قصيدة «فى ميدان كوليكوفو» العبقرية ، وكانما يستشف المستقبل القريب :

لكننى عرفتك ايها الحقل
يا مهد الايام القلقة السامية

وفوق معسكر العدو مثلما آنذاك
يتردد صياح البجع .
لا يستطيع القلب ان يعيش فى الهدوء
والغيوم تتجمّع لغرض
والدرع ثقيل مثلما قبيل القتال
ها قد دقت ساعتك . . فصلٌ !

«لا يستطيع القلب ان يعيش فى الهدوء» . . تلك هى النغمة الاكثر استمرارية والحاحا وعلوّاً فى وجدانيات الكسندر بلوك الناضجة . ومحيطه الذى يسبح فيه هو القلق الخالد الذى لا يبارحه لحظة واحدة ، والتوتر الدائم لقلبه وروحه .

ومضت الحياة تتكشف وتتسع امام ناظرى بلوك ، بكل ثرائها وفقرها ، بكل جمالها الفطرى وتعقدها المأساوى ، بكل تصادماتها ونزاعاتها .

يا ربيعا بلا نهاية !
يا حلما بلا حدود !
عرفتك ايتها الحياة . . اقبلى !
احّييك فى صليل الدروع .
واحدق فيك واقيس مدى العداوة
حاقدا ، ولاعنا ، وعاشقا .
انت العذاب والهلاك . . اننى اعلم ،
ومع ذلك . . اهلا بك !

لقد صور شعر بلوك وجهى الحياة . . وجه الحياة الكاذبة ، المتبرجة . . حيث يسود الظلام والصقيع القارس ، والكآبة والعذاب والموت ، حيث «تُهيأ افعال سوداء» . . ووجه الحياة الأخرى ، المتجلية فى الحلم الابداعى الحر نقية ورائعة ، حيث تزمجر العاصفة المنعشة وتمتد «الرحابة المنورة» . وعندما

يتحدث الشاعر عن هذه الحياة الحقيقية فانه يرسم ملامحها فى الغالب بصور الظواهر الطبيعية الجبارة ، او بصور النضال الانسانى والعمل : الشمس المحرقة لشتى انواع العفن ، والعاصفة الربيعية ، والريح العاتية ، والبرق الطائر ، والمطرقة ، والدرع ، والرمح ، و «السيف المقدس» المسلول من اجل انتصار القضية العادلة .

ان الحياة صعبة ، والصراع الشاق فيها لا يخبو أواره لحظة ، وان يعيش المرء فيها عيشة لائقة يعنى ان يحقق كل يوم مأثرة . وفى هذا الدرب تتربص به المحن القاسية وربما الهلاك ، ومع ذلك فهذا هو الطريق الوحيد الجدير بالانسان . ولذلك فعندما يسلم المرء بالحياة فعليه ان يكون على اهبة الاستعداد للكفاح والمآثر .

٤

فى «تمهيده» لقصيدة «القصاص» (مارس ١٩١١) يقدم بلوك ما يشبه الاعلان الفنى عن موقفه . ان الشاعر يخاطب هنا ذلك المثال الاعلى الذى يبدع من اجله ، والذى يحق لنا ان نعتبره ربة شعره :

انت ، يا من اذهلت دينيتسا
الهمينى الى طريق الصواب
واسمحى لى ان اقلب ولو صفحة
من كتاب الحياة .
دعينى اكشف امام وجهك
على مهل ودون زيف
عما تكنه النفوس

وما ينبض بالحياة فى هذه الدنيا
والغضب المتصاعد فى القلوب
ومع الغضب الصبا والحرية
وفى كل منا تجيش روح الشعب . . .

«**فى كل منا تجيش روح الشعب**» . . تلك مسألة حاسمة ، فى غاية الاهمية لبلوك . لقد كان اكثر شعراء زمنه اقترابا من حل المشكلة الفكرية الابداعية الرئيسية **للعصر** (التى حلها الفن السوفييتى) — مشكلة العلاقة بين الخاص والعام ، بين الفردى والاجتماعى ، بين الذاتى الوجدانى والموضوعى التاريخى .

لقد كتب بلوك عشية تأليفه «تمهيد» قصيدة «القصاص» : «اننى اشعر انه قد تحدد لدى اخيرا ، وانا فى العام الواحد والثلاثين من عمرى ، إنعطاف هام للغاية ، الامر الذى ينعكس على القصيدة وعلى احساسى بالعالم . اعتقد ان آخر ظلال «الانحطاط» قد ولى . . . ان العمل الفنى الحقيقى فى عصرنا (وربما فى كل عصر) لا يمكن ان يولد الا اذا كنت على علاقة مباشرة (ليست كتبية) بالعالم . . .»

انطلق بلوك الناضج فى ابداعه من تصوره عن وحدة العالم والمجتمع والانسان . فالعالم بالنسبة له كلّ واحد لا يتجزأ ، والانسان جزء عضوى من هذه الوحدة . والفرد لا يمكن ان يتجلى الا فى علاقاته الشاملة بالمجتمع والشعب ، وفى مجرى التاريخ . والفن ، كما فهمه بلوك ، مطالب بأن يعبر بأدواته الخاصة به وحده عن الاحساس بوحدة العالم وارتباط الانسان به . ولعل اعظم القيم الفنية فى فهم بلوك هو ذلك الشعور الشعرى «الذى يجعل العالم كله قريبا ومعروفا ، وبالاحرى غامضا وجذابا» .

وفى عام ١٩٠٨ كتب بلوك الى ستانسلافسكى يقول : «. . . امامى موضوعى انا ، **موضوع روسيا** . . .»

لقد ظهرت صورة روسيا فى شعر بلوك وتطورت تدريجيا . وروسيا عند بلوك هى الامل والسلوى ، وهى الضمانة والايمان . روسيا هى بلد القدرة والطاقة الجبارة الموشكة على التحرر والانطلاق .

وفى سنوات نهوض الحركة التحررية الجديد عشية الحرب العالمية الاولى حولت روسيا نهائيا «وجهها الجديد» نحو بلوك ، وجهها الصبى الزاخر بالحياة . انها روسيا «المصانع المتعددة الطوابق» و «المدن المؤلفة من اكواخ العمال» والثروات الباطنية غير المكتشفة ، والشعب الذى يتحرق الى تكريس طاقاته لقضية تاريخية كبيرة . وقبل ان تندلع الثورة الجديدة بسنتين كتب بلوك : «ان مستقبل روسيا رهن بقوى الجماهير الشعبية التى تكاد تكون عذرية وبالثروات الباطنية» . وقد تصور هذا المستقبل «بعثا عظيما تحت شعار البسالة والحرية» و «تحركا لكل القوى» وانتصارا «للديمقراطية العظيمة» التى تكفل للانسان تنمية حرة شاملة ومتناسقة لكل قواه البدنية والروحية .

ويتخلل موضوع الوطن ، بهذا الفهم ، اشعار بلوك واعماله النثرية المتنوعة ، ويفسر مسيرة الشاعر الى الثورة بوضوح . وقبيل انهيار روسيا القديمة مباشرة قال بلوك هذه الكلمات التى لا تنسى ، والمفعمة بالمرارة والامل ، والتى اصبحت جزءا من آثارنا الكلاسيكية الشعرية :

وتمضى القرون ، وتستعر الحروب
وتندلع الثورات ، وتشتعل القرى
وأنتِ كما كنتِ يا بلادي
فى جمالك العريق الباكى
إلامَ تكابد الأم الاسى ؟
إلامَ تحوّم الحداة ؟

شدت ثورة ١٩١٧ بلوك اليها واستولت عليه تماما . واعتبر الاطاحة بالنظام القيصرى المطلق «بداية الحياة» ، لكن مصير الثورة سرعان ما راح يقلقه . فقد كان بكل قلبه فى صف «الشعب الثورى **كله**» لا فى صف الفصحاء الليبراليين بمصالحهم الانانية الطبقية . وفى يونيو ١٩١٧ كتب الى زوجته قائلا ان «مضمون حياته كلها اصبح هو الثورة العالمية التى تقف روسيا فى طليعتها» .

وبهذه القناعة ، بهذا الايمان استقبل الكسندر بلوك ثورة اكتوبر العظمى . ووجد فى اولى مراسيمها — مرسوم الارض ومرسوم السلام — اجابة على افكاره وظنونه وشكوكه وآرائه الدفينة التى تراكمت عبر السنين .

ان الخطوة الجريئة النهائية التى خطاها الكسندر بلوك فى اكتوبر ١٩١٧ تثير الاعجاب وتبقى الى الابد فى الذاكرة . فقد اعترف هذا الشاعر ، الذى كان يعد واحدا من اوائل — ان لم يكن اول — وافضل واشرف ممثلى الصفوة المثقفة ، اعترف بالحقيقة التاريخية السامية للثورة البروليتارية ، ووقف على الفور الى جانبها . وفى يناير ١٩١٨ ، عندما لم يكن مصير الثورة قد تقرر الى حد كبير ، اجاب الشاعر على سؤال فى استمارة لاحدى الصحف البرجوازية : «هل يمكن ان يعمل المثقفون مع البلاشفة ؟» قائلا بصراحة وثبات ودون تحفظ : «يمكنهم وينبغى عليهم» .

لقد قطع بلوك بشجاعة صلته بالعالم القديم الذى صب فصحاؤه ومتحذلقوه لعناتهم عليه ، وضحى بالكثير من علاقاته الشخصية الودية ، وارتقى الى ادراك المغزى العالمى التاريخى لثورة اكتوبر . وكتب فى ذلك الشهر نفسه ، يناير ١٩١٨ : «ان قضية الفنان ، **وواجب** الفنان ، ان يرى ما **هو** المقصود .

فما هو المقصود اذن ؟ **اعادة صنع كل شىء** . ترتيب الاوضاع بحيث يعود كل شىء جديدا ، بحيث تصبح حياتنا الكاذبة ، القذرة المملة ، القميئة عادلةً ، نقيةً ، مرحةً وراثعة . . . «السلام واخوة الشعوب» — هذا هو الشعار الذى ترفعه الثورة الروسية . هذا هو ما يهدر به تيارها . هذه هى الموسيقى التى ينبغى ان يسمعها كل ذى اذنين . . . فلتسمعوا بكل جسدكم ، بكل قلوبكم ، بكل وعيكم . . لتسمعوا الثورة» .

وفى ذلك الشهر النارى نفسه ، يناير ١٩١٨ ، ادى الكسندر بلوك **واجبه كفنان** باندفاعة روحية عبقرية ، فوضع قصيدتى «الاثنا عشر» و«الاسقوثيون» الشهيرتين على نطاق واسع ، واللتين اصبحتا تتويجا مهيبا لمسيرة الشاعر الابداعية وأثرا فنيا ثمينا خالداً لعصر اكتوبر .

ان بلوك ، المتواضع بلا حدود ، والمتشدد بلا هوادة ازاء نفسه لم يتمالك ان كتب فى مفكـــــرتـــه فى اليوم الذى فرغ فيه من قصيدة «الاثنا عشر» : «انا اليوم عبقرى» . والقصيدة عبقرية حقا ، بكل معنى الكلمة . ولقد صيغت باعلى درجات انطلاق الحرية المبدعة ، وبذلك الانسجام الكامل مع «العنوان» (كلمة بلوك المحببة) — عنفوان الثورة البروليتارية فى هذه الحالة — ذلك الانطلاق والانسجام اللذان يكفلان الخلود للاعمال الفنية .

ان الفترة الزمنية الفاصلة بين «الاثنا عشر» و«الهمايون» هى تسعة عشر عاما فقط . واللهب البعيد الذى تنبأ به طائر الهمايون قد حولته ريح التاريخ الى حريق الثورة العظمى الذى احترقت فيه روسيا القديمة واستحالت رماداً . واكد بلوك انه كان يحس ، فى الفترة التى كان ينظم فيها القصيدة ، احساسا بدنيا ويسمع باذنيه دوى العالم القديم المتهاوى .

واتحدت فى القصيدة كل الاحاسيس التى تملكت بلوك : كراهيته للعالم القديم بكل مخلفاته ، والحب اللانهائى للوطن ،

وادراكه للشعب بوصفه القوة الرئيسية المحركة للتاريخ ، والايمان المشرق بالمستقبل . وتنقل القصيدة بقوة شاعرية هائلة الاحساس الحى بالابعاد العالمية للاحداث . فمشاهد شوارع بتروجراد فى ايام الثورة تقدم صورة لروسيا كلها وقد اجتتها الانتفاضة الشعبية الشاملة ، والاثنا عشر جنديا من الحرس الاحمر ، الذين يطوفون بشوارع المدينة الليلية فى دورية حراسة ، يرمزون الى الشعب كله وقد مضى نحو الحياة الجديدة . «سائرون للمدى فى خطوات مهيبة . . .» — هكذا يقول الشاعر عن ابطال القصيدة . وهذه الفكرة ، هذه الصورة ، هى المحور الفكرى للقصيدة : سائرون **للمدى** ، اى نحو المستقبل البعيد ، وفى **خطوات مهيبة** ، تمثل هيبة اصحاب الدولة الثورية الفتية الجدد الكاملى الحقوق .

وبعد «الاثنا عشر» سرعان ما وضع بلوك قصيدة «الاسقوثيون» التى جاءت تتويجا لاشعاره الوجدانية . وهى قصيدة ثورية وطنية تمتاز بالعمق الهائل والقوة الشاعرية ، وتتجاوب مع آثار الشعر الروسى العظيمة مثل قصيدة «الى المفترين على روسيا» لبوشكين و «المسكن الاخير» لليرمنتوف . لقد عاد بلوك فى «الاسقوثيون» الى قضية المصير التاريخى لروسيا ، ولكنه يعيد ادراكه على ضوء الثورة التى تفجرت . ان بلوك ، فى ادراكه التاريخى الفلسفى ، ينظر الى روسيا الجديدة ، روسيا الثورة البروليتارية ، باعتبارها تجسيدا وركيزة للحضارة البشرية بأسرها :

قلوبنا تحب كل شىء : لظى العقول الباردة
وهبة الاحلام الالهية .
عقولنا تدرك كل شىء : ومضات فكر الغال المرحة
وعبقرية الجرمان العابسة

لقد صيغت «الاسقوثيون» مثلها مثل «الاثنا عشر» فى أيام الخطر القاتل المحيق بالجمهورية السوفييتية الوليدة ، وبتأثير الاخبار التى سمعها الشاعر عن خطر هجوم القوات الالمانية القيصرية على بتروجراد ، فدوّت كاعلان سياسى نضالى من شاعر ثائر باسم الشعب الروسى المتحرر بأسره .

* * *

تمر السنون ، وتتغير صورة العالم . ولكن الزمن يقف عاجزا ازاء شعر الكسندر بلوك ، كما هو شأنه ازاء كل ما هو جميل وسام حقا . لقد قال بلوك : ان الشعر الحق خالد . فقد تشيخ لغة الشاعر واسلوبه «ولكن جوهر قضيته لا يشيخ» .

ومن علياء واقعنا التاريخى الراهن نرى اليوم بصورة أوضح وأدق جوهر القضية التى وهبها بلوك ولاءه ، وندرك بشكل افضل وأصوب ذلك الدور الهائل الذى لعبه فى صياغة شعر عصرنا ، ونتغلغل اعمق فاعمق فى عالم ابداعه الخصب والشديد التعقيد الذى ادفأه «اللهب الخفى» للمشاعر الانسانية العظيمة والقوية .

الكتاب الاول (١٨٩٨–١٩٠٤)

من مجموعة «ANTE LUCEM» ومن مجموعة «اشعار السيدة الجميلة» ومن مجموعة «مفرق الطرق»

من مجموعة ° "ANTE LUCEM"
(١٨٩٨ — ١٩٠٠)

سانت بطرسبرج — قرية شاخماتوفو

° ° °

ليسطع البدرُ . . الليل ظلام
وليكن العمر لكل الناس هناء
لكن ربيع الحب بقلبـى
لن يشرق بين غيوم الانواء .

° قبل النور (باللاتينية) .

امتد الليل سواداً فوقى
عيونه الموات لا ترى
نظراتٍ كابية من قلب مكلوم
قد صب السم عليه زعافاً ، حلواً .
عبثا اكتم اشواقى
تائها فى زحام الورى
فى عتمة الفجر الباردة
اهيم بفكرة مكنونة :
ليسطع البدر . . الليل ظلام
وليكن العمر لكل الناس هناء
لكن ربيع الحب بقلبى
لن يشرق بين غيوم الانواء .

يناير ١٨٩٨ . سانت بطرسبرج .

° ° °

كانت جميلة ، صبية
ظلَّت نقية فى طهارة العذراء
هادئة مشرقة كسطح جدول
ايها القلب ، كم تفطرت ! . .

صافية كزرقة الآماد
بدت كبجعة هدهدها النعاس

وربما كان الآسى هناك . . ما يدريك . . .
ايها القلب ، كم تفطرت ! . .

وحينما اسمعتنى انشودة الهوى
تجاوبت فى القلب اصداء الغناء
غير ان العواطف لم تستعر فى لهيب الدماء
ايها القلب ، كم تفطرت ! . .

٢٧ يوليو ١٨٩٨

الهمايون . . طائر النبوءات ٭

(لوحة ف . فاستسوف)

على سطح المياه اللانهائية
المخضبة بأرجوان المغيب
يستوى مغرداً ، متنبئاً ،
عاجزاً عن نشر الجناح المهيض .
يتنبأ بجحافل التتار ،
باعدامات دامية عديدة ،
بالزلازل ، بالجوع ، بالحرائق ،
بانتصار الاشرار وهلاك الابرار . . .

٭ طائر اسطورى من طيور الجنة بوجه انسان يتنبأ بالغيب فى المعتقدات الروسية القديمة — **المعرب** .

والوجه الجميل يشتعل حباً
وقد تملكه رعب النذير ،
والشفاه وقد تخثر عليها الدم
تنطق بالنبوءة — الحقيقة ! . .

٢٣ فبراير ١٨٩٩

° ° °

يوم الخريف يمضى فى مساره البطىء للأفول
وتسقط الوريقة الصفراء فى دورانها البطىء
واليوم منعش ، شفاف ، والهواء مدهش النقاء
والروح لن تفلت من مصيرها المحتوم .

وهكذا تشيخ الروح كل يوم
وتسقط الاعوام مثل ورق الخريف
يبدو ، يلوح لى ، يداعب الظنون ،
انّ خريف ما مضى من السنين لم يكن بهذا الحزن .

٥ يناير ١٩٠٠

° ° °

الشاعر فى المنفى وفى الشكوك
على مفارق الدروب قد وقف

وذكريات الليل تميل للأفول
والشرق شاحب بعيد .

وليس فى الماضى اشارة ولا دليل
اين المضى ؟ ما الرجاء ؟
والشاعر فى المنفى وفى الشكوك
توقف لا يعرف ما الطريق .

لكنما عيناه تنبضان بالأمل
— والعقل لا يكاد يدرك —
بأنْ سيصحو اليوم ، يفتح العينين
فتنجلى للشاعر الآفاق .

٣١ مارس ١٩٠٠

٣١ ديسمبر ١٩٠٠

وانت أيضا ياصديقى الفتىّ الحزين
ترحل بعيداً !
تحية ، تحية الوداع لك
فى هذه الليلة
أما انا فما زلت ذاك الضيف المتعب
على ارض غريبة
أهيم مثل مسافر متأخر
وراء الجمال

ويضحك الجمال ، يتألق
ولا يهمنى سوى شىء :
ألا اريق خمرتى
من كأسى
والصمت ران حولى
والكأس فارغة
ودعوة مبكرة للموت
لا تفارق الشفاه
وانت يا فتاى مثل سر الأبد
ترحل بعيداً !
وانا وراءك ايها الضيف العابر
كسابق العهد ارحل فى الليل .

٣١ ديسمبر ١٩٠٠

من مجموعة «اشعار السيدة الجميلة»
(١٩٠١ — ١٩٠٢)

مفتتح

لا جدوى من الراحة فالطريق شاق
والمساء رائع ، فأدق على الابواب

الطريق البعيد غريب على عليائك
واللآلئ تنتثر من حولك .

القصر عال والفجر تجمد
وعند الباب استقر سر جميل

من أشعل القصور فى الفجر
وانت قد شيدتها بنفسك ؟

وكل زخرف فى الخشب المحفور
يلقى عليك لهبا أحمر الظلال

القبة تتسامى فى لازورد السماء
والنوافذ الزرقاء تكتسى بالحمرة المشتعلة

رنين الاجراس يعلو ويعلو
ويكتسى الربيع حلة بلا غروب

أ أنت التى انتظرتنى فى المغيب
اشعلتِ القصر ، وفتحتِ الأبواب ؟

٢٨ ديسمبر ١٩٠٣

° ° °

حملت الريح من بعيد
طيف اغنيات الربيع

وفى احدى زوايا السماء
انفتحت طاقة منيرة عميقة

فى هذا اللازورد السحيق
فى غسق الربيع القريب
بكت عواصف الشتاء
ورفرفت احلام النجوم

بكت أوتار قيثارى
بوجل ، وظلمة ، وعمق
وحملت الريح من بعيد
أنغام أغانيك العذبة

٢٩ يناير ١٩٠١

° ° °

الروح صامتة . . وفى السماء الباردة
نفس النجوم ترسل الضياء
ومن حولى يعلو ضجيج البشر
طلبا للخبز وللذهب . . .
روحى صامتة ، تصيخ للعويل
وتتأمل العوالم النائية
وفى وحدتها الثنائية
تعدُّ هدايا خلاّبة

تعدُّ الهدايا لآلهتها .
وفى عبق العطر والسكون
تصيخ بسمع مرهف
لنداء الروح الاخرى . . .
وهكذا ، فالقلوب المتعانقة
للطيور البيض فوق المحيط
تلوح نداءً وراء الضباب
لا يفهم سواهما كل معانيه .

٣ فبراير ١٩٠١

° ° °

لسوف تنفضين عنك لوعةً وحباً
سبات الوجود الثقيل .
فلاديمير سولوفيوف

أحدِّس اقترابك . . والاعوام تمر معرضة
أحدِّس اقترابك . . فى نفس الصورة .

الافق كله اضطرام . . باهظ الوضوح
وأقفُ صامتاً انتظر . . **لوعةً وحباً** .

الافق نار كله . . ظهورك اقترب
لكننى أخاف ان تبدلى الملامح .

تنتابنى الهواجس المريرة
من بعد ان تغيرى الملامح المألوفة .
أهوى انكساراً وأسى
تهزمنى الأفكار الفتاكة !

ما أوضح الافق ! والبهاء قريب
لكننى اخاف ان تبدلى الملامح .

٤ يونيو ١٩٠١ .
قرية شاخمتوفو

° ° °

اليوم سرتِ وحدك
ولم اشاهد معجزاتك
وفوق جبلك الشاهق
امتدت غابة مسنّنة .

هذه الغابة الملتفة اللصيقة
وهذه الدروب الجبلية
عاقت عن الانصهار فى المجهول
والازدهار بلازوردك .

٢٢ يونيو ١٩٠١

° ° °

ترى حين يجن المساء
تعود الأمانى ، يعود الزورق
والمجاذيف والضوء خلف النهر ؟
فيت

غسقٌ ، غسق ربيع
والموج البارد تحت الأقدام
فى القلب آمال لم تأت من هنا
والموج يسيل على الرمال .

اصداءٌ ، نثار غناء بعيد
لا استطيع ان أميز الغناء
هنالك روح وحيدة
تبكى على الشاطئ الآخر .

ترى أهو سرى يتحقق
أهى انت التى تنادى فى البعيد ؟
يندفع الزورق ، يتأرجح
وثمة شىء يتدفق فى النهر . .

فى القلب آمال لم تأت من هنا
وشخص يهم الى لقائى . . فأركض . . .

انعكاسات ، وغسق الربيع
وأصوات على الشاطئ الآخر .

١٦ اغسطس ١٩٠١

° ° °

تهلّين من جبل شاهق
منيعة فى قصرك
وسآتى ذات مساء
فأعانق الحلم فى نشوة .

وتسمعين صوتى من بعيد
فتشعلين النار ذاك الليل
سأنصاع لمشيئة الأقدار
كى اجلو كنه لعبة النيران .

وعندما يدوّم الشرار فى الدخان
كحزم السنابل وسط الظلام
أنطلق اليك بحلقات النار
والحق بك فى قصرك .

١٨ اغسطس ١٩٠١

° ° °

سأنهض فى الصباح المضبب
فتهل الشمس على وجهى
أهى أنتِ يا حبيبة الفؤاد
تصعدين درج البيت الىَّ ؟

انفتحت مصارع الأبواب !
وهبَّت الرياح فى النوافذ !
جاشت بسمعى اغنيات مرحات
لم يتردد مثلها من زمان !

بها اواجه الصباح ذا الضباب
والشمس والرياح تصفع الوجوه
بها حبيبة الفؤاد
تصعد درج البيت الىَّ !

٣ اكتوبر ١٩٠١

° ° °

الى س . سولوفيوف

تفر ظلال النهار الجبانة
ورنين الاجراس عالٍ وجليّ

درجات الكنيسة يغمرها الضياء
أحجارها احياء . . . تنتظر خطاك .

ستخطو هنا . . وتمس الحجر البارد
المسربل بقدسية الدهور الرهيبة
وقد تسقط منك هنا زهرة الربيع
فى هذه العتمة ، بين الايقونات الصارمات .

تستطيل الظلال الوردية فى غموض
ورنين الاجراس عال وجلي
ترقد الظلمة على الدرجات القديمة
أتهلل بالنور . . انتظر خطاك .

٤ يناير ١٩٠٢

° ° °

أحلام خواطر وهمية
تتربص بنهاري
وظلال ملتهبة
لرؤىً فات أوانها .

اشعة انعتاقى كلها
توردت **هناك**

وهنا الثلوج والأنواء
قد أحدقت بالمعبد .

كل الرؤى محض لحظة
هل يا ترى أصدقها ؟
وسيدة الكون
الرائعة الجمال
ترى اكون حبيبها
انا العارض ، الفقير ، الفانى ؟

أيام اللقيا ، أيام الخواطر
تتربص فى السكون . . .
فهل سترى الروح الفتية
لحظات جنون ملتهبة ؟

أم ستجمد فى معبد الثلوج
خافضة العينين
تستقبل بالهدايا
رسل النهاية ؟

٣ فبراير ١٩٠٢

° ° °

نعيش فى صومعة عتيقة
قرب فيض النهر

جذلانَ يرقص الربيع ها هنا
وتنشد المياه .

وكبشرى الأفراح المرحة
فى مقدم عواصف الربيع
الزرقة الشفافة
تنساب عبر باب الصومعة .

تملأنا الرعشة المنشودة
لأعوام طال انتظارها
ننطلق حيث لا طريق
الى النور الخلاّب .

١٨ فبراير ١٩٠٢

° ° °

والروح والعروس يقولان تعالَ .
(سفر الرؤيا)

أومن بشمس العهد
أرى الفجر فى المدى
انتظر نور الكون
من دنيا الربيع .

كل ما جاش بالكذب
يفر مذعوراً
وأمامى الى اللاطرق
امتد خط ذهبي .

أجوس فى غابات
الزنابق البرية
والسماوات فوق رأسى
تضج بالأجنحة الملائكية

رفَّت خيوط النور . . .
النور المحال .
أومن بشمس العهد
وأرى مقلتيك .

٢٢ فبراير ١٩٠٢

° ° °

ألقاك كنتُ ساعة الغروب
وانت تشقين بالمجداف الخليج
فأحببت ثوبك الأبيض
ونسيت رهافة المثال .

كانت لقيً صامتة غريبة . . .
على لسان الرمل فى الأفق

تومض اضواء شموع فى المساء
ثمة من يحلم بالجمال الشاحب .

السكون اللازوردي لن يستجيب
للتلاقى ، التقارب ، الاحتراق . . .
كنت ألقاك فى ضباب المساء
حيث أعواد الشاطئ وارتعاشة المياه .

والآن لا حنين ، لا غرام ، لا ضغينة
كل ما كان خبا . انقضى ، مضى . . .
القوام الأبيض ، وأصوات الجناز
ومجدافك الذهبى .

١٣ مايو ١٩٠٢

° ° °

من له العروس فهو العريس .
وأما صديق العريس الذى يقف
ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل
صوت العريس .
(انجيل يوحنا ، الاصحاح الثالث ، ٢٩)

أنا الصبى اشعل الشموع
أوفّر نار المباخر
وعلى الشاطئ الآخر
هي تضحك فى صمت دون هموم .

أحب صلاة المساء
فى الكنيسة البيضاء فوق الشاطئ
احب القرى فى الأصيل
والغسق الأزرق العكر .

أتأمل سر الجمال
أسيراً للنظرة الرقيقة
وخلف سور الكنيسة
ألقي بالزهور البيضاء .

ستسقط غلالة الضباب
وينهض العريس من الهيكل
ومن قمم الغابات المسننة
سيهل فجر الزفاف .

٧ يوليو ١٩٠٢

° ° °

صبيٌّ . . . نضيرٌ . . . أنا عاشق
يتقد الفؤاد بالحنين والعذاب والرجاء
مخضوضراً كقيقب تلفه الأسرار
يميل دائما اليك .
تداعب النسائم الدافئة الأوراق
وترجف الجذوع فى ابتهال

وعلى الوجه المتطلع للنجوم
عبق دموع الثناء .
وتأتين تحت الخيمة الفسيحة
فى هذه الأيام الغافية الصفراء
تمتعين العين بروعة البهاء
وتحلمين فى الظلال الخضر .
انت وحدك معى ، وعاشقة
أهمس حلماً غامض الأسرار
أبقى الى الليل مع الحنين ، معك
ابقى معك قيقبا مخضوضرا .

٣١ يوليو ١٩٠٢

° ° °

خرجت ليلاً كي أدرك ، كى أفهم
كنه الحفيف البعيد والوجيب القريب
أسلِّم بمن لا وجود لهم
وأصدق وقع حوافر وهمية .

الدرب الأبيض فى ضوء القمر
بدا يعج بالخطى
ولم يكن هناك غير طيف
مضى وغاب هابطاً خلف الربى .

أرهفت سمعى . . . فسمعت :
بين التماعات القمر الراعشة الظلال
ركض جوادٍ عالي الرنين
وصفيراً خفيضاً واضح المعالم .

لكن الصوت لم يعلُ ولم يغب
وراح قلبى يغالب الصراع
أواه لو أعرف مصدر وقع الحوافر
ومن أين سيأتى الصوت ؟

ها هو رنين الحوافر يقترب ،
والجواد الأبيض يطير نحوي ،
وصار واضحاً من يجلس صامتا
فى السرج الخالى ويبتسم .

خرجت ليلاً كي أدرك ، كي أفهم
كنه الحفيف البعيد والوجيب القريب
أسلِّم بمن لا وجود لهم ،
وأصدق وقع حوافر وهمية .

٦ سبتمبر ١٩٠٢ . سانت بطرسبرج

° ° °

وسيأتى يوم كلحظة الفرح
وسننسى كلَّ الأسماء

ستدخلين عليَّ صومعتى
وتوقظيننى من السبات .

فى وجهي المختلج ارتعاشا
ستقرئين ما يجيش من فكر
وكلُّ ما مضى يصير بهتانا
ما أن تهلَّ اشعاعاتك .

ومثلما مضى ستقرئين فى جبينى
وانت تبسمين فى سكون
ما خُطَّ عن هوى مزعزع خؤون
عن الهوى الذى أينع فى الأديم .

وعندها أرقى الى الجمال والمهابة
واشرب الكأس الى القرار
بلا ظنون أو شكوك
أشارك يومك .

٣١ أكتوبر ١٩٠٢

من مجموعة «مفارق الطرق»
(١٩٠٢ — ١٩٠٤)

° ° °

حلمت بالمحال من جديد . . .
(فيت)

غسق السماء بعد شاحبٌ
وفى المدى يصيح ديك
وفى حقول نضجت سنابلا
توهجت يراعة وانطفأت .

قد أظلمت فروع الحور
ولاح خلف النهر ضوء

عبر ضباب ساحر شفيف
مر قطيع خيل لا يُرى

مضيت عبر الحقول الحزينة
ادندن لحناً حزينا
أحلام المحال وراء ظهرى
تتلاشى وقد أسرت فؤادي

أهمس ايقاعات خافتة
لم ترد فى خواطرى
وتهتز الأغصن الرمادية
كأنما تدب فيها الروح

١٧ نوفمبر ١٩٠٢

° ° °

نهضت من سباتى الثقيل
محنكاً ، مكدودا
وأمامك يا ذهبية الخصل
نكَّستُ أطراف راياتى .

حلَّت نهاية المتكبر العليم
ولم أعد أحب آفل الأيام

آمنت بالمعبودة المقدسة
لها اسلَّم الزمام للأبد .

سينقضى الشتاء . . . فى العاصفة المنشدة
ترددت اصداؤه البعيدة
وأطبقت اقواسها السماء
طوبى لروحى . . . أنت قربى .

٣٠ نوفمبر ١٩٠٢

° ° °

الحلم يغرِّد ، واللون تورَّد
اليومُ ذبول ، والنور أفول .

فتحت الشباك ، فرأيت البنفسج
وكان ربيع . . . فى يوم غارب .

تضوَّع الشذى . . . وعلى الافريز المظلم
تراقصت ظلال حلل القداس المهللة .

اختنق الأسى ، وأشرقت الروح
وفتحتُ الشباك . . . مختلجاً مرتعشا

لا أذكر من أين . . . هبَّت على وجهى
منشدةً ، مستعرة . . . جاءت الى بابى .

سبتمبر–ديسمبر ١٩٠٢

° ° °

الى اندريه بيلى .

طيلة عام لم يهتز الشباك
والباب الثقيل لم يصرّ
وغاب فى النسيان كلُّ شىء
والآن عاد الباب يُفتح .

تململوا ، ورسموا علامة الصليب . . .
ومضوا بالتابوت الفضي . . .
وعجوز تتشبث بالتابوت
تتعثر فى كوم ثلجي .

الزحام وجوه صماء
واحتشد الجيران في فضول . . .
شقت الأقدام دروبا عديدة ،
مدنسةً طهارة الثلوج .

وسمع المسجىَّ فى زنزانة التابوت
وهو يُوسَّد فراش الثلوج

انشودة الزوابع البعيدة
رافعة ابواقها الى السماء .

٦ يناير ١٩٠٣

° ° °

— كيف حال القوم ، هادئة ؟
— لا . قتلوا الملك .
وفى الميادين من ينادي
بالحرية الجديدة .

— هل كلهم على استعدادٍ للنهوض ؟
— كلا . تسَّمروا انتظارا
هناك من أمرهم بالانتظار
فراحوا يجولون وينشدون .

— من وصل الآن الى السلطة ؟
— الشعب لا يريد سلطة
قد فتر الحماس للنضال
وها هى خطوات قادم جديد .

— ومن هو المستبد الجديد ؟
— جاهل ، غضوب ، شرس الطباع
رآه ناسك عند باب المعبد
ففقد البصر .

وها هو يسوق الناس كالقطيع
الى مهاوٍ ما لها قرار
يسوقهم بعصى من حديد . . .
— يا إلهى ، يا الهى فلنفرّ من يوم الحساب !

٣ مارس ١٩٠٣

° ° °

راودتنى فى الحلم خواطر بهيجة
حلمت اننى لست وحدى . . .
أفقت قرب الصبح على الضجيج :
كتل الجليد تندفع وتتحطم .

فكرت فى معجزة تحققت . . .
ورجال حمر ، مرحون
قد شحذوا الفؤوس هناك
وأوقدوا النيران ، ضاحكين .

بالصخب الطروب ثمل الفؤاد
وجاشت بالمنى روحي
معى خواطر الربيع
وأنت — أعرف — لست وحدك . . .

١١ مارس ١٩٠٣

° ° °

نجرتُ عصاة من شجرة بلوط
على همسات العاصفة الحانية
أسمالي بالية ، خشنة
ما أغدر الصاحبات !

ولو شحاذاً . . . سأجد الطريق
فلتطلعى يا شمس الصقيع !
سأهيم طول النهار أجمع الصدقات
وفى المساء أطرق شباكك . . .

الباب المسحور ستفتحه
بيد بيضاء
صبية ذهبية الضفيرة
صريحة ، صافية الروح .

فى ضفيرتيها النجوم والقمر
«ادخل أميري على الرحب . . .»
فتشرق عصاة البلوط الفقيرة
بدمعة حجر كريم .

٢٥ مارس ١٩٠٣

كان عمرها خمس عشرة . . . ودقّ قلبها
كأنما يقول : هذه عروسك .
وحينما تقدمت اليها أعرض الزواج ضاحكا
تضاحكت وانصرفت .

كان ذلك فيما كان من أيام . . .
وبعدها مضت سنون لم يدر بها أحد .
ونادرا ما التقينا ، وقليلا ما تحادثنا
لكن صمتنا كان عميقا .

فى ليلة شتوية ، مصدقاً أحلامى ،
خرجت من القاعات الساطعة المزدحمة
حيث الأقنعة الخانقة تبسم للغناء
وحيث تابعتها نظراتى النهمة .

وخَرَجَت ورائى صاغرة
وهي لا تدرى ما سيحدث بعد لحظة
ولم يشهد سوى ليل المدينة الحالك
كيف سارا وغابا عروس وعريس

وفى يوم قارس ، مشمس ، جميل
التقينا فى المعبد ، فى عمق السكون .
فأدركنا ان سنوات الصمت كانت واضحة ،
وأن ما حدث قد خُطَّ فى السماء .

صدرى يغرد ، والروح مترعة
بهذه القصة عن بحثي الطويل السعيد
شيدت من هذه الاغانى صرحاً
وسأنشد الاغانى الاخرى فى زمن ما .

Bad Nauheim ١٦ يونيو ١٩٠٣

المصنع

فى المنزل المجاور . . . نوافذ صفراء
وفى المساء ، فى المساء
تصرّ تروس غامضة
ويمضى الناس الى البوابة .

بوابة مغلقة صماء
وعلى الجدار ، على الجدار
شخص أسود ، لا يتحرك
يحصى الرجال فى السكون .

اسمع كل شىء من علیائى
اسمعه بصوته المدوى
يدعو الرجال الواقفين
كى يحنوا ظهورهم المكدودة .

سيعبرون ثم يتفرقون
حاملين الاكياس على الظهور
وفى النوافذ الصفراء سوف يضحكون
اذ خدعوا هؤلاء الشحاذين .

٢٤ نوفمبر ١٩٠٣

من الصحف

نَهَضَت فى الفجر ، وعمَّدت الاطفال
فرأوا فى منامهم ابهج الأحلام .
وأحنت رأسها حتى لامس الأرض
فى آخر انحناءة وداع .

استيقظ «كوليا» ، فتنهد بسرور
مبتهجا فى اليقظة بنومه العميق
وانداح ازيز زجاجى ثم خبا
فى الأسفل صُفق الباب الرنان .

مرت ساعات . ثم جاء رجل
فى عمرته الشتوية شارة معدنية
دق الباب ووقف ينتظر .
فلم يفتح له احد — كانوا يلعبون .

كانت اعياد الميلاد المرحة الشتوية . . .

لعبوا بمنديل الأم الأحمر .
فى هذا المنديل كانت تخرج كل صباح
واليوم تركت منديلها فى البيت ،
فراح الأولاد يخبئونه فى الاركان .

تسلل الغسق . . . وظلال الأطفال
تراقصت على الجدار فى ضوء الفوانيس
صعد الدرج شخص يحصي الدرجات
احصاها . . . وبكى . . . وطرق الباب .

اصاخ الأطفال . . . وفتحوا الباب
جارتهم البدينة جاءتهم بحساء .
قالت : «كلوا» . . . وركعت على ركبتيها
وانحنت ، كأمهم ، عمَّدت الأطفال .

يا أيها الصغار ، أمكم لا تحس بالألم
ألقت بنفسها على قضيب القطار .
شكرا للانسان الطيّب ، الجارة البدينة
شكراً لها ، شكرا . . . فأمكم لم تستطع . . .

أمكم بخير . . . أمكم قد ماتت .

٢٧ ديسمبر ١٩٠٣

° ° °

حبيبـي ، أميرى ، عريسي
حزين أنت فى المروج الغنّاء
وأنا وسط الحقول الصفراء
أتلوى لبلابة على الشاطئ الآخر .

اقتنص لمحاً أحلامك المحلقة
انا الزهرة الشفيفة البيضاء الشاحبة
سيسحقنى فى أوج تفتحي
حصانك المكدود الأبيض الصدر

آه ، لو دستَ خلودي
سأصون النور من أجلك
وسأشعل شمعة كنيسة
عند صلاة الصباح فى وجل .

ستقف فى الكنيسة شاحب المحيا
امام سيدة السماوات العذراء
فأخفق لهبا شمعياً
كيما تحس الرعشة المعهودة . . .

أنا فوقك — كالشمعة — ساكنة
وامامك — كالزهرة ، رقيقة

انتظرك انت ، عريسي
انا العروس دائما . . والزوجة أبداً .

٢٦ مارس ١٩٠٤

* * *

نقوم حراساً على باب القصر
عبيدا مطيعين .
يحدونا الايمان ، نرنو للعلا
فى انتظار النفير .

أبدا فى الغد . كلَّ يوم كلَّ ساعة
عند سور القصر
الصوت الجلي يمجد
واحداً منا .

الهواء مشحون بأنفاس
المنى العاصفة
تشتعل العلا فى الجفون
الملتهبة الساهرة .

سيشير ملاك وردى
قائلاً : «هو ذا :
يطرز الخرز ، وينظم العقود
الربيع الخالد»

فى لحظة الصفاء نسمع اصوات
العواصف المبتعدة
نضم ايدينا معا فى سكون
ونطير الى الزرقة .

الكتاب الثانى (١٩٠٤–١٩٠٨)

مفتتح . اشعار متفرقة . من مجموعة «المدينة» ومن مجموعة «قناع الثلج» ومن مجموعة «فايبنا» ومن مجموعة «افكار حرة» .

مفتتح

رحلتِ الى الحقول ولن تؤوبـى
فليتقدس اسمك !
ومن جديد سدّد الغروب نحوي
نصال رماحه الحمراء .

شفتاي فى اليوم الأسود
لن تمسا سوى نايك

فإذا ذوت رنات ابتهالاتى
نمت مقهورا فى الحقول .

ستخطرين فى تاجك المذهب
ولن اقوى على فتح جفني
دعينى اتنهد فى عالم الكرى
أقبل أثرك الوضاء . . .

انتزعي روحي الصدئة !
اسألى لى الرحمة مع القديسين
يا من تسندين الأرض والبحار
بيدك النحيلة فى ثبات .

١٦ أبريل ١٩٠٥

اشعار متـفرقـــة
(١٩٠٤ — ١٩٠٨)

° ° °

صعدتُ كلَّ القمم
طفتُ بسماوات أخر
وكان مشعلي عيون بومة
وقطر الندى فى الصباح .

اتبعنى ! اتبعنى ! تتوسل نظراتك
تصدق الوعود الجوفاء

وأحسن كأنما مرتين
ارفع كأس السم الى فمى !

كلا ، كفى ، لقد أحرقتُ أماراتى
ومحوت كل آثاري !
كل ما مضى ، والاغنيات التى لم تتم
لن تعود قبل بزوغ النجمة

النجمة التى حين أدركها
ادفع الثمن مائة ضعف
لقاء كل السمو والوضاعة
التى انوء تحت عبئها الثقيل .

١٥ مارس ١٩٠٤

° ° °

ما أرهق السبات فى الشتاء الزمهرير
وتحت عاصفة الثلوج . . .
لم نقوَ ان نشق بالمحراث
التربة التى جمدها الصقيع .

مع ندى الفجر الصيفي
سنخرج للنزهة فى الحقول
وبالمناجل الرنانة
سنحصد العشب الريّان !

لتُفتح الأبواب على مصاريعها !
وليهبّ عبق النسيم فى النوافذ !
من زمن بعيد لم نردد
مثل هذه الاغنيات الطروب !

٥ نوفمبر ١٩٠٤

° ° °

واندفعنا للهجوم . . والنصال الحادة
مشرعة الى الصدور
وصاح واحد : «المجد لك !»
وواحد همس : «اذكرينى !»

هوى بجانبى ، منطرح الذراع
واطبقت من فوقه صفوف الجند
فمن تراه يتلوى تحت الاقدام ؟
لا مجال للتذكر . . .

لكن فى الذاكرة الجذلة
توهجت شمعة فى مكان ما
ومرت الأقدام الثقيلة
تدوس فوق الجسد الحي . . .

لن يلقى أحد منا الشيخوخة
فالموت تتناقله الشفاه

والغضب يسطع فى الأعالى
والافق الدموي خواء . . .

حسنا ، سيعلو صليل الدروع
وسيحلو الألم وتسمو الشهادة
وبعدها سيحنو التراب
على جثث صلبة مفزوعة .

يناير ١٩٠٥

° ° °

كانت عروساً حبيبة مرحة
لكنها رحلت حينما جاءها الموت

ووسدتها امها العجوز ها هنا
فانهارت الكنيسة فى البحيرة المزهرة

وفوق ارتعاشة الاغوار السحيقة
يلوح صليب وحيد جامد .

ومرت الأعوام والاعوام
ولم يعد الى البيت القديم الصبا

لم يبق الا أم عجوز فى البيت
الذى كلّ من انتظار الصبا

حينما تولج العجوز الخيط فى الابرة
ترتمى على الارض المشرقة ظلال الخيوط

البيت هادئ كما سيكون ، مشرق كما كان
والأم العجوز نست حساب السنين

عجوز كالعالم ، شيباء كالقمر
والموت لن يدركها ابداً ، ابدا . . .

فوق المقاعد القديمة ، فوق الخزائن
تواصل الهوام رقصها الطروب

وخيوط حمراء ملقاة على الارض
وفأر يقرض ورق الجدران فى الركن

فى أعماق المرآة يقبع السكون
مع عجوز كهذه ، شيباء كالقمر

ونفس الخيوط ، ونفس الفئران
ونفس الصورة فى فجوة الجدار—

فى اطار قاتم ، كسواد البحيرة
والنظرة وادعة دوما دوما . . .

وعينان تنظران بانطفاء من زمان
وكرة طروب من خيوط حمراء . . .

ويمتد فى العمق صف الغرف
ويطل من النوافذ نفس البستان

اخضر كالدنيا ، عاليا كالسماء
حنونا كالابنة الراحلة . . .

«عودى ، عودى . الخيط لا يريد أن يذوب
دعينى أموت قريرة البال» .

٣ يونيو ١٩٠٥

الشاعر

جلس مع ابنته عند النافذة
وفوق الشاطئ حومت الحدثات
— اهطل ، اهطل يا مطر !
فمعى مظلة لها ذراع !

— نحن فى الربيع وانت اسيرة الشتاء
يا بنيتي المسكينة فى قلنسوة حمراء . . .
أترين البحر مزبداً وراء الشباك ؟
سنطير معاً ، بنيتى ، وراء البحار .

— وهل توجد ماما وراء البحار ؟
— كلا .

— فأين ماما ؟
— ماتت .
— وما معنى ماتت ؟

— معناه : هذا شاعر أحمق يسير
ويبكى دوما على شيء ما .
— علام ؟
— على القلنسوة الحمراء .
— واذن فليس لديه أم ؟

— لديه . ولكن هذا لا يعنيه
يريد ان يرحل وراء البحار
الى ديار السيدة الجميلة .

— وهذه السيدة ، طيبة ؟
— نعم .
— فلماذا اذن لا تجيء ؟

— انها ابداً لن تجيء .
فهي لا تركب السفن .

واقبل الليل
وانتهى حديث الأب وابنته .

يوليو ١٩٠٥

حرية خريفية

امضى الى الطريق المكشوف للبصر
والريح تحنى رقاب الغصون
والحصى مبعثر على المنحدرات .
وطبقات الطين الأصفر شحيحة .

يعربد الخريف فى اذيال ثوبه المبلل
معريا مقابر الأرض ، لكنما
الحمرة تتوهج فى المدى
فى خمائل الغبيراء فى قرى الطريق .

ها هي بهجتى ترقص فرحة
وهى تدندن وتغيب فى الخمائل
وفى المدى ، فى المدى يلوح داعيا
كمّكِ المزخرف المزهر .

من يا ترى أغرانى بالطريق المعهود
ساخراً مني فى نافذة سجنى ؟
ربما شحاذ ينشد المزامير
شده اليه الطريق الوعر ؟

كلا ، اسير فى الطريق لم يدعنى أحد
فلتكن الأرض رقيقة لحالي
سوف امضى مصغيا لصوت روسيا الثملة
وارتاح تحت اسقف الحانات .

ترى أأغنى حظى السعيد
ام اندب شبابا قضى عليه الشراب . . .
سوف ابكى على حقولك الحزينة
واعشق آمادك الرحبة الى الأبد . . .

كثيرون منا يموتون بلا عشق
احراراً ، شبانا ، أقوياء . . .
لتأونا رحابك اللانهائية !
كيف السبيل الى الحياة والبكاء بدونك !

يوليو ١٩٠٥

سولفيج

إلى سرجى جورودينتسكى
وتأتى سولفيج ركضا على الزلاجات .
إبسن . «بير جونت»

سولفيج ، أتيتِ اليَّ ركضاً على الزلاجات
وابتسمتِ لمقدم الربيع .

عشتُ فى كوخى المظلم الفقير
أياما طويلة وسط الصخور دون نور .

وها هى عيناك الخضراوان تبسمان لى
فأرفع فى يدى الفأس عاليا .

أضحك محطما الصنوبرة العتيقة
واستقبل العروس — الربيع .

فلتعلُ القبة الزرقاء
فوق الكوخ الجديد
كفى الصنوبرات حجبا للسماء !

فهذه السماء . . لك !
وهذه السماء . . لي !
ولتكن الحياة كبرياء !

عشتُ فى الغابة كما فى الحلم
وصليت للصنوبرة
التى نشرت فوقى الجمال

جئتِ فهلَّ النور
وتبدد حلم الشتاء
وجاشت الغابة بالربيع !

أتسمعين رنين الفأس ؟ اترين النظرة الفرحة
المسددة اليك لا تحيد ؟

أتسمعين اغنيتى ؟ ادمِّر وأغنى
عن حبيبتى سولفيج الربيعية !

اهتزت الجذوع تحت ضربات فأسى
ترنحت فى اللازورد تلهج بالثناء

صوتك اصفى من اغنية الصنوبرة العتيقة
سولفيج . . يا أنشودة الربيع الخضير !

٢٠ فبراير ١٩٠٦

° ° °

كنت اعرفها انذاك
فى تلك الأعوام الخرافية .
(توتشيف)

مرت السنون . . وظللتِ كما كنتِ
صارمة ، رائعة ، نقية
شعرك وحده صار أنعم
وجرى فيه بريق الشيب .

أما أنا فمنكب على كومة كتب
شيخا طويلاً محنيا .
انظر الى محياك الوديع
وفى خاطرى فكرة مستحيلة

نعم ، لم تغيرنا السنوات
نحيا ، نتنفس كما فى ذاك الزمان

وحفظنا فى الذكريات
تلك **الاعوام الخرافية** . . .

رمادها الفاتح . . فى قارورة طويلة
وروحنا المشرقة . . فى ظلمة زرقاء
بكل روائح الماضى نتنفس
روعة وزرقة لازوردية .

٣٠ مايو ١٩٠٦

° ° °

ذيل فستان لطخته النجوم
وعيون زرقاء ، زرقاء
وما بين الارض والسماء
ارتفعت نار كاعصار .

الموت والحياة فى دورة الأبد
وانت فى الحرير المشدود
مرئية فى دروب التبانة
خفية فى غمام الرعود

سقطت حجب الضباب الخانق
انطفئ يا ضوء ، وانتشر يا ظلام . . .
مددت يدك الدقيقة ، البيضاء ، الغريبة
فوضعت كأساً — مشعلاً فى يدى .

سألقى بالكأس — المشعل الى القبة الزرقاء
فينسكب درب التبانة
انت وحدك ستهلين على الكوكب كله
لتنشرى ذيل النجم المذنب .

دعينى ألمس ثنايا الثوب الفضى
أخبر بقلبى اللامبالى
كم هو حلو درب عذابى
كم هو سهل وصافٍ مماتى .

سبتمبر ١٩٠٦

روسيا

أنت حتى فى الحلم خارقة
لا أجرؤ على لمس ثيابك
وأنام وفى الحلم سر
وفيه يا روسيا تهجعين

روسيا المحزمة بالأنهار
والمحاطة بمجاهل الغابات
بالمستنقعات واللقالق
وعيون الساحر الزائغة النظرات .

حيث الأقوام المختلفو الوجوه
من طرف لطرف ، ومن واد لواد

يقيمون حلقات الرقص الليلية
فى وهج القرى المشتعلة

حيث المنجمون والعرّافات
يرقون الغلال فى الحقول
وفى الدوامة الثلجية المتصاعدة
تلهو الجنيات مع الشياطين .

حيث تدفن العواصف الهائجة
البيوت المتهالكة تحت الثلوج
وفى طيات الثلج تشحذ فتاة
خنجرا لحبيبها الخائن .

حيث كل الدروب واللادروب
انهكتها وخزات عصي الهائمين
والرياح المعولة فى الغصون العارية
تنشد اساطير الأولين . . .

هكذا عرفتُ فى منامى
بؤس وطنى الحبيب
وفى أسماله الرثة البالية
اخبئ روحي العارية .

فى الدرب الليلى الحزين
مشيت حتى المقابر

قضيت ليلتى عند القبور
أنشدت طويلا اغنياتي .

لم أدرِ ، لم أستبن
لم أهديت ايمانيً
وبأى اله آمنت عن يقين
واى فتاة عشقت .

فى رحابك الواسعة يا روسيا
هدهدتِ روحي الحية
وها هى نقية لم تلوّث
طهارة الأصول .

انام . . وفى الحلم سر
وفى السر يا روسيا تهجعين
حتى فى الحلم خارقة
لا اجرؤ على لمس ثيابها .

٢٤ سبتمبر ١٩٠٦

° ° °

عن الربيع غنت الاميرة
بالهام عذب الانغام
فقلت : «يا أميرة اسمعي ،
لسوف تبكين عليً» .

وضَعَتْ على كتفي ذراعيها
وهمسَتْ : لا ، سامحني
خذ سيفك ، وامض للقتال
وسوف أحميك فى الطريق .

امضِ ، امضِ ، وعد شابا
وقد أديت واجبك
وسأحفظ بردى وثلوجى
وأنزوي فى قصر البلّور .

سأنتظر طويلا بهجة اللقاء
وستمر السنون فى سكون
والحفيف الأبدى محيط بالقصر
وماء الخندق ساكن شفاف . . .

نعم ، اتأهب للقاء البعيد
وأمد ذراعي لألقاك
وقد عدتَ حاملاً من القتال
على نصل رمحك «الربيع» .

أسدل الأفق غلالته الزرقاء
على الحصن ، وابراجه ، وعليك
عفوك يا أميرة ، فدربى طويل
سأمضى لأعود بلهب الربيع .

أكتوبر ١٩٠٦

من مجموعة «المدينة»
(١٩٠٤ — ١٩٠٨)

° ° °

ألقى الأبدُ على المدينة
غروباً قصديريا .
طرف السماء مبقور
والحارات طنين .

أحمل على كتفيّ
كل عجز الظنون

وفى نوافذ المصانع اساطير
تحكي ليالي المجون .

الأسقف القصديرية
ملاذ لكل المجانين .
فى مدينة التجارة هذه
لن ينزل الى الأرض الله .

كم هو رنان هذا الهواء
ويا لاغراء الخداع .
خذينى ايتها الحارة
الى ضباب ازرق كالدخان . . .

٢٦ يونيو ١٩٠٤

° ° °

صعدوا من ظلمة الاقبية
رؤوسهم تغوص فى اكتافهم
وعلا ضجيج الخطوات
ولغط لهجات غريبة .

وجاءت جموعٌ غيرهم
حاملين المجاريف والمعاول
وانتشروا فى الشوارع الحجرية
يشيدون على الأرض القصور .

امتلأ الشارع بالكتل الرمادية
وتغطى بنسيج العنكبوت
وارتفعت الموجة فى هدير
معرقلة سير العربات .

ثم مال النهار للمغيب
ناشراً فى السماء البعيدة . . الغسق
وهدر التيار الذى لايُرى
وصب فى مدينتنا ، كما فى البحر .

لم نجزع ، ولم نتساءل . .
فليأخذ مكاننا أناس جدد !
فمثلنا فى آلام المخاض ولدتهم أمهم
ومثلنا ارضعتهم ثديها الحنون . . .

فى غلالة النهار الغارب
سلمنا بقدرنا هذا مدركين . . .
وألقى علينا المغيب الاخير
ظلالاً من نوره الحزين .

لم يتربص بنا تنّين رهيب
ولم يتفجر تحتنا اتون الجحيم
بل أغرقتنا امواج الزمان
ولم يدم قدرنا غير لحظة .

١٠ سبتمبر ١٩٠٤

° ° °

جنحت بنا سفينة الحياة
في مياه ضحلة الاعماق .
ومن بعيد تناهت
صيحة العمال المدوية .
على صفحة النهر الخاوي —
اغانٍ ومخاوف .
يدلفُ شخص قوى
فى جلباب رمادي .
حرك الدفة الخشب
ونشر الشراع .
ألقى بالخطّاف
وناء بصدره .
فاستدارت ببطء
المؤخرة الحمراء
ومرت سابحة
بالمنازل الزاهية
ها هم قد ابتعدوا
بالسفينة فى سرور
لكنما المؤكد
لن يأخذونا معهم !

ديسمبر ١٩٠٤

اجتماع

كان يخطب فى ذكاء ، وحدَّة
وعيونه الكابية المنطفئة
تطلق باستقامة ودون بريق
شرارات عمياء .

ومن اسفل المنصة
شخصت اليه آلاف العيون
لكنه لم يكن يدرى
ان ساعته الأخيرة قد دنت .

كانت حركاته موفقة
وصوته قاسي النبرات
واهتزت لحيته بايقاع
منسجم مع الكلمات المعفّرات

وقف رماديا كقبة السماء
محيطا بحدود الاشياء
وراح يصلصل فى ثقة
بقيود الحرية الثقيلة

ولم يفهم الجالسون فى القاعة
لا التواريخ ولا الأسماء
ولم يكن بينهم من يحمل
سيماء الواجب والمعاناة

وارتفعت دمدمة خافتة
وارتعشت الاضواء
وانداح صخب شبيه
بسقوط جذوة مشتعلة .

كأنما تفجر فى الظلام النور
كأنما تكشف سر . . .
فاستيقظ الجمهور ودوّت بوحشية
صفارة حادة الصفير

ومع رنين الزجاج المحطم
تداخل انين خافت
وسقط الخطيب على الأرض
محطم الرأس .

لست أدرى من فى الجمع
قتله بضربة حجر
لكنى اذكر بوضوح
آثار الدماء على العمود

كانت الصفارات تمزق الهواء
والصرخات ما تزال تتردد
بينما اخلد للراحة الابدية
عند باب القاعة الصاخبة . . .

ولمعت ومضة نار عند الباب . . .
وتبعتها ومضات اخرى . . .
ورنت ترابيس بنادق
عند قوس الباب .

وكشف الضوء الخاطف لمحاً
عن الرجل الممدد على الارض
وجندي فوق رأس الميت
يقف شاهرا سلاحه .

بدت قسماته اكثر قتامة
مع لحيته السوداء
وتجمع الجنود فى صمت
وانتظموا فى صفوف .

وفى السكون الذى خيّم فجأة
اشرق وجهه المستدير
وحلّق ملاك وئام
ورفرفت فرحة بلا حدود .

وحدقت من الجفون المفتوحة
عينان قاسيتان قريرتان
وفوقهما امتدت فى استقامة
حراب البنادق البراقة

كأنما كان مختبئا فى المدخل
خلف اشداق الفوهات السوداء
يستنشق فى اطمئنان
نسيم الحرية الليلى .

١٠ اكتوبر ١٩٠٥

° ° °

الكرى القيصري ° يلف مدينة الدنيا
اسيراً لغبار القرون
ويداعب فى الفجر الشادي
جفون الحالم المستبد .

والسلف البرونزى ما يزال °°
يهيم بالاحلام فوق الثعبان .
وصوت الدهماء العديد النبرات
لم يرتفع بعد على ضفاف النهر .

الأعلام ترفرف فوق البيوت
وبشائر جديدة تهم بالانطلاق

° كتبت هذه القصيدة والقصيدة التالية ردا على المرسوم القيصرى بـ «منح» الدستور عام ١٩٠٥ . وقد اعتبر بلوك هذا «الدستور» خداعا للشعب وتطلعه الى الحرية . **المعرب** .

°° الاشارة إلى تمثال بطرس الاكبر البرونزى ، حيث يمتطى جوادا واثبا وتحت قوائمه افعى — **المعرب** .

لكن مياه النهر ساكنة ،
والقصور المظلمة عمياء .

فاذا كان وجه الحرية قد ظهر
فقد ظهر قبله وجه الثعبان
ولم تُسحق حلقة واحدة
من جسده اللامع القشور .

١٨ اكتوبر ١٩٠٥

° ° °

السماء الرمادية لم تزل رائعة
والآفاق الرمادية لم تزل يائسة
والبؤساء ، السائلون خبزا
لا يرثي لهم أحد ، لا يرثي لهم أحد !

فوق الخلجان تبدد صوت الدهماء
متلاشيا فوق النهر الوسنان
والصرخة الوحشية : «اطيحوا به !»
لا تحرك الرثاء فى الموج النعسان .

والاضواء الباردة فى السماء الرمادية
غلّفت قصر القيصر الشتوي

والفارس الأسود لن يرد °
حتى تدركه خيوط الفجر .

فليهو حينها بسيفه فى غضب
مضرّجا بالشروق فوق اغوار المياه
وليسقط شهيد الحكاية القديمة
مع الدهماء فى صراعها العقيم . . .

١٨ اكتوبر ١٩٠٥

شباع

أُرهقت نفسي بهم من زمان :
ففى أوج الأحلام العذرية
كانوا يضجرون ولا يعيشون
يفركون الأزهار البيضاء .

وها هو الضوء الكهربى ينطفىء
فى قاعات الطعام والجلوس
فوق كومة الأقداح والنساء والعجائز
فوق مآدبهم المملة الوقورة .

ما جدوى اشعال الشموع ؟
على الوجوه دوائر صفراء

° تمثال فوق قصر الشتاء — **المعرب** .

وتخشخش أحاديثهم الورقية
وعقولهم تتحرك فى عناء .

هكذا يغضب الشبع
وتتململ البطون المتخمة
فها هى مذاوذهم قد قُلبت
وقُضت مضاجعهم فى الحظائر العفنة !

اصبحوا يحيون فى الضنك
وبيتهم مطفأ الانوار
تلسع مسامعهم مطالب الخبز
والقهقهة الحمراء لرايات الآخرين !

فليعيشوا بقية عمرهم كما عاشوا
فنحن نشفق ان نحطم شبعهم .
غير انه لا يليق بالأطفال الأطهار
ان يقلدوا الملل القديم .

١٠ نوفمبر ١٩٠٥

السيدة المجهولة

فى الأمسيات ، فوق المطاعم
الهواء الحار أصم لا يطاق
وأنفاس الربيع المهلكة
تحرك الضحكات المخمورة

وفى البعيد ، فوق غبار الأزقة
وفوق وحشة دور الضواحي
تلمع كعكة ذهبية على لافتة مخبز
ويتردد بكاء طفل .

وكل مساء ، عبر المزلقان
يدفع القبعات الى مؤخرة رؤوسهم
ظرفاء محنكون
ويتنزهون مع النساء بين القنوات .

وتصر المجاذيف فوق البحيرة
وتنبعث صيحات نساء
وفى السماء يتطلع القرص بحول وبلادة
معتاداً على كل شيء .

وكل مساء صديقى الوحيد
أراه منعكسا فى كأسي
مستكين مثلي ومذهول
من الخمرة اللاذعة الغامضة .

وقريبا ، عند الموائد المجاورة
يقف خدم ناعسون
ويصيح السكارى بعيون حمراء :
« in vino veritas » *

* فى الخمر الحقيقة (باللاتينية) .

وكل مساء ، فى نفس الساعة
(أم هذا يراودنى فى المنام ؟)
يلوح فى النافذة المضيّبة
قوام غادة يلفّه الحرير .

تمر على مهل بين السكارى
وحيدة دوماً ، بلا رفيق
تتضوع عطراً وضبابا
وتجلس قرب النافذة

ومن حريرها المشدود
تهب خرافات غابرات
وفى القبعة ريشات حداد
وأناملها الدقيقة مرصعة بالماسات .

أنظرُ الى خمارها الأسود
يشدني التقارب الغريب
فأرى شواطىء خلابة
وآمادا تسلب العقول .

قد عهدوا لي بدفين الأسرار
وسُلّمت لي احدى الشموس
والنبيذ اللاذع قد غمر
كل حنايا الفؤاد .

وفي رأسي المخمور تهتز
ريشات النعام المنكسة
والعيون الزرقاء بلا قرار
تزهر على الشاطىء البعيد .

فى قلبـي تستقر كنوز
لم تُسلَّم مفاتيحها لسواي !
انتم على حق يا وحوشا سكارى !
نعم ، اعرفُ : فى الخمرة الحقيقة .

٢٤ ابريل ١٩٠٦

يوم بارد

التقيت واياك فى المعبد
وعشنا فى فردوس سعيد
وها نحن نمضى عبر الافنية العفنة
الى عذاب الكدِّ واللعنات .

عبرنا بوابات الأحواش
ورأينا فى كل شباك
ظهراً محنياً فى عناء
يرزح تحت عبء العمل .

وها قد وصلنا حيث سنعيش
تحت سقف واطئ مقبض

حيث كل انسان يلعن أخاه
مسحوقاً تحت وطأة الكد .

سرت بين النائمين على الأرض
محاذَرةً ان تلوثى فستانك
لكن رقدتهم فى الركن الملطّخ ،
ونومهم فيه . . كان لعنة . . .

والتفتِ نحوى وحدقتِ
فى عينى المغرورقتين ، فى براءة . . .
فانحدرتْ على خدى وسقطت
دمعة براقة ثملة .

عبث ان ابحث عن السعادة
فقد ولَّى الشباب من زمان
والعمل كفيل ان يقصِّر عمرنا
سأرفع المطرقة ، وستمسكين بالابرة .

اجلسى ، وحيكى ، وانظرى الى الطريق
العمل يسوق الناس فى كل الارجاء
واذا ازداد الكدّ وطأة على بعضهم
مضوا يغنون الأغانى الطوال .

سأقف الى جوارك واكدح
آملاً ان تنسى ما فات

عندما كنت أفرغ كؤوسى
مغرقاً يأسى فى النبيذ .

سبتمبر ١٩٠٦

فى اكتوبر

فتحتُ النافذة . . .
يا لكآبة العاصمة فى الخريف !
حصان أغبر بائس
يتسكع فى الفناء .

وندف ثلجية خفيفة
ترفرف زغبا فى الهواء
وشجرة شوح على الرابية
تهز ذؤابتها الوانية .

عشتُ بلا هموم ، يانع الصبا
وها قد ولّت الأيام .
ها هو صبى تجمّد بردا
يرجف مقروراً وسط الفناء .

كل شىء كما كان من زمان
وسيبقى الى أبد الآبدين

الحصان والصبى الصغير
يكابدان عناء الصقيع .

أنا ايضاً دون ذنب جنيت
حبسونى فى غرفة «السندرة»
لا أحد يصغى لحججى
ونفد ما معى من طباق

وما زلت أصبو للحرية الحرة
لحياة لا تكبلها قيود
رغم ان نجمة حظى قد غربت
منذ ان أدمنتُ الشراب !

غرقت نجمتى فى الكأس من زمان
أو حقاً لن تعود ؟
ها هى روحى تنتفض من سباتها
ومعى نجمتى من جديد !

هى ذى تسبح فى ناظرى داعية
تتمايل هناك فى الشبّاك . . .
ستبدأ الحياة الحقة
وسينبت لى جناحان !

سآخذ معى كل شىء
كلَّ ما جمّعته من كنوز !

الآن ادركت قوتى
سأصيح . . . وأحلّق كالطير !

سأطير الى ذلك الصبى الصغير
فى خضم الأنواء والأضواء . . .
كل شىء كما كان من زمان
كل شىء ، ولكنْ — بدونى !

اكتوبر ١٩٠٦

نافذة مطلة على الفناء

لم يبق سوى أمل واحد :
التطلع من أعلى الى بئر الفناء .
يشرق النور ، تبيّض الثياب
فى ضياء الفجر المنتشر .

اسمع حكايات قديمة
استيقظت عميقا فى القاع
وشموع صفراء ترفرف
منسية فى ذاك الشبّاك .

وقطة جائعة منزوية
عند مزراب أسطح الصباح

لم يبق لى سوى النشيج
مصيخا لأنفاسك فى كراك الوديع .

تنامين ، والشوارع سكون
وصدرى يجيش بالأسى والملال
وفى صدغىّ . يدق بجنون
هاجس بلوى مشؤومة ينهشنى .

تطلّعْ الى نافذتى ، يا صغير . . .
كلا ، لن تنظر ، تواصل المسير . . .
فأنا تماما كشمس الشتاء
كشمس الشتاء الحمقاء .

اكتوبر ١٩٠٦

* * *

تحدّق فى عيون الغسق الصافية
والمدينة تشعل اضواءها
ويفوح فى الأزقة شذى البحر
وغناء صفارات المصانع .

تستسلم الروح للضباب
فى هرج الحياة الكاسح . . .
معطف أحمر يمرق بقربى
وصوت نسائى كوتر الكمان .

عاجزة أحلامك الفاترة
كطيات مسوح الكهان العصرية
وكثيرا ما تعرض عنك النساء
منكّسات سهام الرموش .

ومن ذا رأيتَ فى الظلام الزلق ؟
وتلك النوافذ . . من اضاءها فى الضباب ؟
والمطاعم هنا مضيئة كالكنائس
والكنائس مفتوحة كالمطاعم . . .

عبثاً هام الفؤاد
بأوهام زائفة خائبة
عيون العذارى ، وتلك المطاعم
ستأفل فى الموعد المرتقب

ديسمبر ١٩٠٦

من مجموعة «قناع الثلج»
(١٩٠٧)

نسيج الثلج .

دارت خيوط العتمة الثلجية
ونامت الاكوام فوق الارض
نعم ، نحن غريبان ، لم يجمعنا لقاء
وانت نسيج قصائدى الاسير .

ومن خيوط ثلجية رقيقة
اغزل في سرى و أحيك شباك الاشعار

لم تكوني أولَّ من وقع فيها
مستسلمةً على الجسر في الظلام .

هنا — مصابيح الكهرباء
مياه غضبى قيّدها الجليد . . .
وهناك — فراغ بحار ،
لن افتح بابي ، لن افتحه لك ابداً !

ونطير معا في نشوة الى مجرات سحيقة
تاركين وراءنا ذيلا من رذاذ الثلوج
وتنظرين بنفس الروح الاسيرة
الى نفس القبة ، قبة النجوم .

تنظرين حزينة . . . وتشتد زرقة الثلوج
والآفاق قاتمة
وانطلاق الزحافة باهر . . .
وعندما تلتقي عيناى
بنظرتك التي تأبى تهربا
تتفجر الاعماق الثلجية
وتتقارب الشفاه . . .

الاعالى . . . العمق . . . سكون الثلوج
وأنت صامتة . . .
وفى نفسك اليائسة
ذلك الحزن الاسير الخفيف .

آه ، يا ملحمة الشتاء الفضية الثلوج !
اني احفظك عن ظهر قلب .

٣ يناير ١٩٠٧

العماد الثاني

اقتحمت الزوابع الثلجية بيتي
فبردت غرفتي و تجمدت
وفي حوضها الثلجي الجديد
عُمِّدتُ للمرة الثانية

وعلى عتبة عالمي الجديد كنت اعلم
ان فيه بشراً ، وفيه اعمال
وان الطريق الى الجنة ربما مفتوحة
امام كل من يتجنب دروب الخير .

لقد سئمت من قبلات صاحبتي
على الارض المغطاة بالثلوج
والجوهرة في تاج الزوبعة
غدت على جبينها قطعة جليد .

فخور أنا بعمادى الجديد
وقد أحال قلبي قطعة جليد

أتعدينني بلحظات سعيدة ؟
تقولين لي سيعود الربيع ؟

انظري — كم قلبي سعيد !
فالأرض أسيرة الثلوج
لن يأتي الربيع ؟ لا تنادي . . .
الموت سيكون عمادي الاخير !

٣ يناير ١٩٠٧

خلف الأقنعة

وخلف القناع لمعت النجوم
وابتسمت حكاية
فى ليلةٍ سجت .

واستغرق الضمير شارداً
يحوم فوق هوة ، وئيداً
مرتحلاً عن الزمن .

تلك الاصابع التى عرفتها صارمة
قد امسكت بكأس من رطوبة الزجاج
والليل يمضى نحو مخدعه
مباطئاً خطاه .

وصلصلت لحظات
فى القلب رنّت الرطوبة
ورقص الشعاع الاخضر المثير
فى انطفاءة البلّور .

وفى الصوان نامت الكتب
ببابه المزخرف القديم يلتصق
طفل صغير عارى البدن
من جناحه الوحيد .

٩ يناير ١٩٠٧

يقرأون الأشعار

لتنظرى : خلطتُ كل الصفحات
حين عيناك أينعتا زهوراً
اجنحة كبيرة لطائر ثلجى
سفت على عقلى ثلوج العواصف .

كم كان غريباً حديث القناع !
هل استطعتِ فهمه ؟ — من يدرى !
فأنت تؤمنين : لا شىء فى الحياة غير النثر
وللحكايات مكانها — الكتب .

لكننى لا استطيع ان افصلك
عن الدجى ، والنهر ، والليالى

وعن دخان ساكن فى الفضاء
ونجيمات قواف منتشية .

ارجوك ان تخففى الغلواء
ولا تثيرى كامن الاشواق بالقناع
لا توقظى فى غيهب الفؤاد
نيرانى الاخرى . . . رهيبة الضرام .

١٠ يناير ١٩٠٧

قلبـي للعاصفة

توهجى يا ابرة الثلوج الأخيرة !

وانهضي ايتها الظلمة المتأججة
وانثري غبار ثلوجك الرماد !

اقتليني كما قتلتُ يوما
أقرب احباء القلب !

نسيتُ كل الأحبة
أدرت قلبـي مع العاصفة
وألقيته من الجبال البيضاء
فاستقر هناك فى القاع !

سأمضي بنفسى الى نيرانك
فلتحرقيني

ولتطعنيني
بابرة النيران الثلجية
ايتها العيون المجنحة !

١٣ يناير ١٩٠٧

الهالك

يتوسل قلبـى فى الخفاء هلاكا
سِرْ ياقلبـى الخفيف . . .
ها قد اخرجونى من الحياة
عبر درب من فضة ثلجية .

ومثلما يتصاعد البخار فى سكون
فوق بركة بعيدة فى الشتاء
قادتنى خطواتك الساكنات
حملتنى الى هذا المكان .

وأسيراً كبّلتنى نظراتك
وطوّقتنى ذراعك
وسلّمتنى برودة قلبك
لثلوج الردى البيضاء .

فهل لى من ملاذٍ آخر
أجر اقدامى اليه

اذا كان قلبـى يبغى الهلاك
ويندفع فى الخفاء الى القرار ؟

١٢ يناير ١٩٠٧

نار ثلجية

اندفعت السنة النار عاليا
فوق المعلق على الصليب
والليالى بعيون ثلجية
تحوم بلا اكتراث فى العلاء .

تحوم الليالى الشقيقات الشابات
غازلات اعاصير الشتاء
وتتطلع بعيون واسعة
وتحيك حبال دخان بيضاء

وترقبها السماء فى حنان
من خلف اجنحة الرموش
العبْ يا لهيب ، تراقصْ
ملتفاً على الصليب .

احترقْ يافارسى الحبيب
احترق فى قناع الثلج
أفلم اغنِّ لك الاغانى

واهواك ، واهبك القبلات
من الغروب الى الشرق ؟

فاسرع وردَّ على حبـى
يا فارسى الحبيب . . اننى هيفاء
أولم اكن لك دوما وفية
بكل قطرة من دمى الثلجى ؟

وفية ظللتُ ثلاث ليال
ادور حولك ، وأناديك
كشفت وجهى لتحدق فى عينى
ووهبتك اجنحة خفاقة

لتحترق ضاريا ، جذلان
اما أنا فبيدى الخفيفة
سأبدد رمادك الرقيق
فى هذه الرحاب الثلجية .

١٣ يناير ١٩٠٧

من مجموعة «فايينا»
(١٩٠٦ — ١٩٠٨)

° ° °

ها قد ظهرتِ ، فتضاءل
بريق صديقاتك الباذخات
ودخلتْ نفسى دائرة
قدرها المرسوم .

أينعت قسمات محياك
على انين قيظ الثلوج

وزحافة مجلجلة بثلاثة خيول
تندفع فى نشوة ناصعة البياض .

لوّحتِ بأجراس رنانة
فجذبتنى الى الرحاب
وخنقتنى بحريرك الأسود
وفتحتِ لى الفراء . . .

أعن تلك الحرية الجامحة
تبكى عند النهر الرياح
وترنّ الاجراس فى الحقل وتتلاشى
وينطفئ بصيص الاضواء ؟

على الخصر حزامك الذهبى مشدود
فى نظرتك المجنونة تواضع وقح
لتكن خداعاً هذه اللحظات
ولتحترقْ فى لهب النيران !

لتعصفى يا ريح ولتغنى
للخداع ، وللحرير !
لن يعرف العالم يوما
كم هى دقيقة راحتك !

لن يعرف آماداً تكشفت لى
فجأة خلف سواد الخمار

حين سقط خمارك الاسود
على الرحاب الناصعة الثلوج .

ديسمبر ١٩٠٦

° ° °

وكنت خجلا ، طروبا
أثارنى حريرك الأسود
وارتفع الستار الثقيل عنك
فساد الصالةَ السكون .

دائرة المسرح المضيئة
فرّقت بيننا بلهيبها الحىّ
صاغت الموسيقى ملامح وجهك
وكوتها بنارها .

تتوهج الشموع من جديد
وروحى وحيدة ، عمياء . . .
ومن كتفيك الرائعتين
ثمل الجمهور بالاعجاب . . .

يا نجمتى الغاربة عن الدنيا
تسطعين نائية فى الآفاق

وفى يدك الممدودة
قيثارة فضية ترتجف . . .

ديسمبر ١٩٠٦

° ° °

الى ن . ن . ف °

دخلت عالم البشر كمقصورة مسرح
وانطفأت اضواء الصالة المضطربة
وظللت وحدي بنار عيونى المجنحة
أثير أشواق الظلام .

تغني عيونى فى ظلام المقصورة :
«ابحثى ، اعشقى ، خذي ، طيرى»
وكل عظيم أو حقير الشأن
سيخفض سيفه امامى فى انكسار .

سيأتوا جميعا ، كأمواج البحر
كعاصفة فى اثر عاصفة
تأججى غسقاً بلون الحداد
يا أعينى المجنحة !

° ناتاليا نيكولايفنا فولوخوفا (١٨٨٠ — ١٩٦٦) ممثلة بمسرح كوميسارجيفسكايا . أولع بها الشاعر آنذاك وأهدى لها ديوان «قناع الثلج» — **المعرب** .

عيناي شعلة ترنو الى العلا
كأنما كأس نبيذ أسود
قد صُبَّ فى السماء !
قوامي الممشوق لفه الحرير
يا أيها الناس انا قدركم المرسوم !
اننى هيفاء !

أنا نجمة الأحلام الرقيقة
أسبح متوجة بعواصف الثلوج
متزلقة فى صفحة السماء
واختفي فى فضة الثلوج
وانت يا حزامي الدقيق فى خصري
تتوهج مثل درب التبَّان !

١ يناير ١٩٠٧

° ° °

الى أمى

غرست فردوسى المضىء
وأحطته بسياج عالٍ
وجاءت الأم تزور ابنها الحبيب
فى البقعة الرائعة والآماد الزرقاء .

«أين انت يابنيَّ الحبيب ؟» — لا جواب .
الشمس تعلو فوق السياج الكثيف
وتنشر الدفء فى بطء ويقين
على وادى نبيذ الفردوس .

وتطوف الأم فى احتراس
بحدائقى وحرماتى
وتعود تصيح : «يا بنيَّ ، أين انت ؟»
محاذرةً ان تدوس الورود .

لا جواب . . . فما ادراها
ان قلبه يرشد خلف السياج ؟
فالذى ذاق من نبيذ الفردوس
لا يحتاج الى ما فات من مسرات .

ابريل ١٩٠٧

° ° °

يا ربيعا بلا نهاية !
يا حلما بلا حدود !
عرفتك ايتها الحياة . . اقبلى !
أحبّيك فى صليل الدروع .

يا ايها الاخفاق مرحبا !
ويا فوز لك منى السلام .

لا عيب فى لغز دنيا البكاء
ولا فى اسرار الضحك ما يشين .

مرحبا بالجدل حتى الصباح
بالفجر المعتم وراء الشباك
فليلهب الربيع ، وليخدِّر
جفونى المحمرة من السهاد .

أحيى رحاب الصحراء ،
والمدن — الواحات على الأرض
وآفاق الفضاء السماوية
وعذابات كدّ العبيد .

ألقاك عند باب الدار
تعصف الرياح بأفاعى الخصلات
وعلى الشفاه المشدودة فى برود
اسم إله مجهول . . .
امام هذا اللقاء — النزال
لن ارمى درعى ابدا . . .
ابدا لن تكشفى لى كتفيك . . .
لكن الحلم الثمل يحوم حولنا .

واحدق فيك واقيس مدى العداوة
حاقداً ، ولاعناً ، وعاشقاً .

انت العذاب والهلاك . . انني أعلم ،
ومع ذلك . . اهلا بك !

٢٤ أكتوبر ١٩٠٧

° ° °

تزويع الثلوج فى الشوارع
تتلوى ، وتترنح
تمتد يدٌ الىّ
وصاحبها يتبسم .

يقودنى الى قرار
محشور بين جرانيت قاتم
ينساب منشدا
ويناديني ، الملعون .

اقترب وابتعد
اتجمد فى رعب غامض
مجرد خطوة ، وأصبح
فى احضان الموج الهادر .

يهمس فى اذنى — ولا مهرب منه
(فارادتى مسلوبة)
يقول : «فلتفهم . . سمو الروح
فى قدرتها على بلوغ الموت

قد آن ان تفهم . . وحيد أنت
وما اعذب اسرار الصقيع
حدِّق ، حدِّق فى المجرى البارد
حيث الصبا الخالد» .

اركضُ . . دعنى يالعين !
وكفّ عن تعذيبى وامتحانى
سأرحل الى الخلاء والثلوج والظلام
ألوذ بخمائل الصفصاف .

فهناك الحرية أطلق من كل الحريات
ولن تجور على ابنها الحر
والألم الاكثر ايلاما من كل الآلام
سيشفى مَنْ ضلّ سواء السبيل .

٢٦ أكتوبر ١٩٠٧

° ° °

واجثم مستكناً عند ساقيها
حبيبتى فى السر من سنين
والعاصفة الثلجية تسفى على العتبة
حريق اجنحتها البيضاء .

اردد اسمك الرقيق
حلو المذاق ، مُرّه ، عجيبُه !

والثم طرف ثوبك فى الخفاء
والزوبعة تغنى ، تغنى . . .

وفيما ظل فؤادى قابعا
فى سجنه الحاقد المخمور
نامت على اهدابك الساكنة
زهور ناصعة البياض .

كأنما وقفتُ فى منتصف الطريق
قد انهكت قواى العاصفة
كأنما من الثلوج نبتت أمامى
زنبقة باردة ، فارقتها الحياة . . .

وبأسى خفىَ ، أسى رقيق
كثلج يتهافت من اكمام زهرة ،
يتردد متساقطا من لسانى
اسمُ عذراء الثلوج الخالد .

٨ نوفمبر ١٩٠٧

° ° °

طوال العمر انتظار . تعبَتْ .
وابتسمَتْ . وانحنَتْ .
و سقطت خصلة شعرها المنثور
على كتفيها الداكنتين .

العالمِ ليس كبيرا ولا هو بالخصب
فعلامَ نضيع العمر في التشاؤم ؟
لا تعيري بالاً لمن يقول :
الحياة صبر و التسليم واجب .

وهنا يشدو الناي
مولولا ، مشتكيا ، رقيقا
«هزّي ارجوحة الأخرين ،
دللي طفلاً لا تحبينه»

وهنا انا — بمصيرى
وبقيثارتي كالسيف غاضبة
مذَلٌ ، ناقم ، حقود ،
في اسواق الدنيا أساوم .

اصدق ظلام شعرك
وروعة جمالك الباهر
وروحي اليتيمة عند قدميك
تصلصل بسلسلة ككلب مخلص .

ومن جديد ، من جديد
تلتقي نظرتي فحمة عينيك . . .
اتوق ان اناديك باسمك
وان اعيش واتنفس بجوارك !

يا روعة الاحلام ! ماذا يكون كرى الحياة الراكدة ؟
لا شيء غير السمّ . . . بعد السم . . . .
وقد اخونك بالغد
كما خنت تلك ، دون خبث و خيانة .

ما امتع الحياة ! ما امتع ان تعرف
أنْ لا جديد تحت الشمس
وأنّ موتانا قد وهبوا القدرة
على بعث كلمات نابضة حية .

وما من احد يبالي
بما اتركه للعالم و ما تركتِهِ لي —
كفاهم ان ينقشوا على قبرى :
«كان شاعرا»

١٨ يناير ١٩٠٨

° ° °

كان الربيع فوقنا
يذرف دموعه الحرّى
وومضت النار وراء القصب
مثيرةً حصاننا الجامح .

من جديد ترميننى بالقسوة
انت التي وُهِبتُها من زمان !

لكن الريح العاصفة ، المعاكسة
ألهبت وجهك بالنار .

وتحاولين سدىً ، عجزاً
أن تبتعدي عن النار
لكن السماء انحازت ،
لقد ناصرتني السماء !

أيَّ شفاه أقبل ،
وأعانق أيَّ اكتاف . . . سيّان
والى أيّ شوارع مهجورة
أحث الحوذي المقدام .

سيَّان من تتنهد ومن تهمس
وربما لستِ انتِ التى معي الآن . . .
لا أسمع غير وقع حوافر الحصان
يتناهى منقطعا كأنما من تل بعيد . . .

وبجنون وليد لحظة
استسلمنا بلا ارتواء
— فخورين بانسحاقنا —
لتزواتك ايها الغرام !

واليوم حين غدت لي النجوم أقرب
من ذكريات تلك الليلة الليلاء ،

وسقوطك يا ابنة الذلّ أصبح
هواناً ماله حدود ،

حين أخلو لنفسي فألعن
كل يوم من تلك الأيام
يتراءى لي حينها ظلك
وقد تعرى من هالة الأساطير . . .

هل تأتين لى كبركة ؟ ام عتاب ؟
حقودة ، ناقمة ، آسية ؟
أم تأتين كحكم عليّ ؟
لست ادرى . . . فقد نسيتك من زمان .

٢٠ نوفمبر ١٩٠٨

من مجموعة «افكار حرة» (١٩٠٧)

فى الموت

كثيرا ما أتجوّل فى المدينة
وكثيرا ما أرى الموت . . وابتسم
ابتسامة رزينة ، وماذا ؟
هكذا اريد . . وقد قدّر لى ان أعرف
ان المنيّة ستدركنى فى الاجل الموعود .

كنت أسير فى الطريق بحذاء ميدان سباق الخيل
والنهار يغفو على اكوام حصى ذهبية

وميدان السباق خلف سور أصم
يلوح أخضر . وأعواد القمح ، والهندباء البرية
تنام تحت الاشعة المهدهدة . وفى الامام ضغطت
مدرجات النظارة تحت سقفها المسطح
جموع الكسالى والمتأنقات . ورفرفت اعلام صغيرة
هنا وهناك . وعلى السور
جلس المارة ينظرون .

سمعت وانا سائر عدو الجياد السريع
على الارض اللينة ، ووقع حوافر الخيول
وفجأة دوت صرخة :
«وقع ! وقع !» — صاحوا من على السور
فأسرعت اقفز فوق بقايا جذع
فرأيت المشهد دفعة واحدة : كان الجوكية
بملابسهم الزاهية مندفعين بالجياد الى العمود الرفيع
ومن ورائهم ركض متخلفاً عنهم
جواد بلا راكب ، يطوّح الركاب
ومن وراء اوراق البتولا الجعداء
قريباً منى — تمدد جوكى ،
فى زيه الأصفر ، بين الأعواد الربيعية الخضراء ،
ممدداً على ظهره ، مصوّباً وجهه
الى السماء الزرقاء الرقيقة .
كأنما من دهر ينام ، فاتحا ذراعيه
طاويا ساقه ، فى رقدة هنيئة .
وكانوا قد ركضوا اليه . ومن بعيد

تهادت برشاقة عربة «لاندو»
تبرق اسلاك عجلاتها البطيئة
واقتربوا منه ركضا
ورفعوه . . .

فتدلت
ساقه الصفراء عاجزة
فى الجورب الطويل الضيق . وتهدّل
رأسه على اكتاف حامليه . . .
واقتربت «اللاندو» ، وعلى وسائدها
بحرص وعناية وضعوا
الجوكى الأصفر كفرخ دجاج .
وقفز شخص على سلمها ، وجمد
مسنداً الرأس والساق
وادار الحوذى الوقور عربته عائداً . . .
ودارت اسلاكها ببطء ثانية
ولمعت مقاعدها ، ومحاورها ورفارفها . . .

ما أجمل هذه الميتة الحرة .
طوال حياته كان يركض بفكرة عنيدة :
أن يكون أول من يبلغ الهدف . وفى خضم الركض
تعثّر الجواد اللاهث
ولم تقو الساقان على الامساك بالسرج
وتقطعت السيور النخرة
فطار وقد دفعته السقطة

وارتطم رأسه بالارض الحبيبة
الأرض الربيعية البشوش .
وفى تلك اللحظة مرت فى ذهنه كل الأفكار
الضرورية الوحيدة . . مرت
وماتت . وماتت العينان ،
وحدق الجثمان حالما الى السماء .
بتلك الحرية والهناء .

مرة كنت اتجول على الشاطئ
والعمال يفرغون بالعربات من الصنادل
الاحطاب والطوب والفحم .
والنهر فى الرغوة البيضاء يبدو اشد زرقة .
ومن ياقات القمصان المفتوحة
أطلت اجساد سمراء
ومن الوجوه المسوّدة لمعت بصرامة
عيون زرقاء ، روسيّة الرحابة .
وبالقرب منهم كان الأطفال يخوضون
فى اكوام الرمل الأصفر حفاة الاقدام
ويسرقون ما يتسنى : قالب طوب او حطبة
أو جذيماً ، ويختفون . وبعيدا تلمع
كعوبهم القذرة الراكضة .
وامهاتهم ، بأثدائهن المهدّلة
تحت الثياب المتسخة ينتظرنهم بالسباب
ويضربنهم ويستولين منهم

على الحطب والطوب والجذوع ويمضين
مبتعدات يرزحن تحت عبء الأحمال .
ومن جديد تعود جماعة الصغار المرحة
لتشرع فى السرقة
هذا يلتقط جذعا ، وذاك قالباً . . .

وفجأة دوّت طرطشة مياه وصرخة :
«وقع ! وقع !» — صاحت اصوات من الصندل
وترك عامل يد العربة واشار
بيده الى موضع فى النهر .
فاندفعت كتل القمصان الملونة
الى حافة الشاطئ ، حيث كانت زجاجة فودكا
ملقاة هناك فى الحشائش بين الاحجار
وجاء أحدهم بخطّاف .
وبين القوائم المدقوقة
فى الماء قرب الشاطئ
كان شخص يتأرجح
فى قميص وسروال ممزق .
التقطه احدهم ، وساعده الآخر
وسحبوا الجسد الطويل الممدود
والمياه تسيل منه جداول
واخرجوه ووضعوه على الشاطئ
ولسبب ما وضع الشرطى خده
وهو يقرقع بسيفه على الاحجار
على الصدر المبلل وراح يصغى بعناية

كان يسمع ، فيما يبدو القلب .
وتجمهر الناس ، وكل قادم يسأل
مردداً نفس الأسئلة الحمقاء :
متى وقع ، وكم من الزمن
ظل فى الماء ، وكم شرب ؟
ثم اخذوا ينصرفون فى سكون
ومضيت الى حالى وانا اسمع
عاملاً متحمساً ، ولكنه ثمل
يعلن للآخرين بلهجة العارف
ان الشراب يقضى على الناس كل يوم .

سأمضى لاتجول قليلا ، طالما الشمس ،
طالما القيظ ، طالما رأسى مثقل
وأفكارى ذابلة . . .

ايها القلب !
كن أنت دليلى . وارقب الموت
بابتسامة . فانك سوف ترهق .
لن تتحمل هذه الحياة المرحة
التى أحياها . ولن يتحمل الناس هذا الحب
والحقد ، اللذين احملهما فى نفسى .

تواقاً . . .
تواقاً دوما للنظر فى عيون الناس
لاحتساء النبيذ وتقبيل النساء

لملء المساء بضراوة الرغبات
عندما يحول القيظ فى النهار بينى وبين الاحلام .
للترنم بالاغانى ! لسماع شدو الرياح !

فى بحر الشمال

ماذا فعل المتأنقون المتنزهون والمتأنقات
بشاطئ البحر ؟
وضعوا عليه الموائد ، وراحوا يدخنون ،
يمضغون ويجرعون المشروبات ، وبعدها
يتفرقون على البلاج ، يقهقهون عابسين
ويملأون الجو بعدوى الشائعات .
ثم يحملهم الحوذية فى العربات
المغطاة بالقماش السميك بدلال
الى الشاطئ الضحل المياه ، حيث يبدلون
بالحلل العجيبة والبزات
ألبسة البحر الخفيفة
فيكشفون عضلاتهم وصدورهن الذابلة
ويرتمون فى المياه صارخين
متلمسين القاع بخطوات خرقاء
ويصيحون محاولين ان يبدوا مرحين .

هناك صنع الغروب من السماء
كأسا عميقة ، ومد الشفق اليدين
الى الشفق الآخر المنعكس ،

وينسج الشقيقان السماويان نفس الضباب
وردياً آناً ، وسماوياً آنا آخر .
والغيمة الغارقة فى البحر
فى سكرة الموت تطلق
نيرانها الحمراء والزرقاء .
واذ نقرأ على حاجز الامواج المهترئ
الممتد طويلا فى البحر ، تلك التواقيع :
«معاً الى الأبد» ، «هنا كان كوليا وكاتيا» ،
«هنا كان الأب ديويدور ويروموناخ
ومساعد القس ايسيدور . ما اعظم صنع الله» . .
اذ نقرأ كل التواقيع نخرج الى عرض البحر
فى زورق بخارى مضحك ذى كرش .

يتحشرج المحرك ويفوح البنزين ، وخلفنا
يركض جناحان فى المياه ، ويتلوى الأثر السريع ،
وندور قوساً مارين بالضاجرين على البلاج ،
بقوارب الصيادين ، وبالرأس الضيق ، والمنارة ،
ونخرج ارتعاشة امواج عديدة الألوان
الى المياه المالحة الواسعة المداعبة
فى الأفق ، خلفنا ، على المدى
يمتد وهج الحريق ، صامتاً
وقرية الصيادين «فولنى» منبسطة
فى الماء كظهر حيوان بحرى عريض .
وبعيدا ، فى الأمام
اضواء سفن واشعة شاردة

يطلقها كشاف سفينة الجمارك .
ونوغل فى الضباب السماوى
والاشارات تمتد بزاوية مائلة فى البحر
محددة مجرى الملاحة .
وبعيدا ، بين العلامة والعلامة
تلوح اشرعة سفن الصيد . . .

البحر سكون . واليخت البحرى الرائع الجمال
يقف ناشراً كل اشرعته .
وعلى الصارى الدقيق مصباح صغير
كجوهرة فى مشبك شعر امرأة
تتوهج فوق جبين السماء .

وعلى اليخت الحاد الصدر ، فى صمت عميق ،
بين تشابكات حبال الاشرعة العجيبة ،
يجلس اشخاص عاقدين اذرعهم على الصدور
فى قبعات بحرية مائلة على الملامح الصارمة .
وفى الوسط ، قرب الصارى يجلس بحار
صامتاً ، متشحا بالسواد ، محدقاً .

ندور حول اليخت ، وبكل أدب
واحترام وهدوء يقول واحد منا :
«أتريدون ان نقطركم ؟»
وببساطة وقورة يرد علينا
صوت قاس : «كلا . شكراً» .

ومن جديد ندور حولهم وننظر
بقلب مترع واله
الى هيكل اليخت الجميل الراحل
ناشراً كل اشرعته ، فى سكون . .
الى جوهرة مشبك الشعر
المتوهجة فى غسق الجبين الأسمر .

° ° °

ثمة لعبة : أن تدخل حذراً
لكى لاتثير انتباه الناس
وبعينيك تبحث عن ضحية
وتراقبها دون ان تراك .

ومهما يكن الشخص المراقَب
غليظا وبليد الاحساس
فسيشعر بالنظرة الثاقبة
ولو فى اختلاجة الشفتين الخفيفة

ومراقَب غيره سيدرك على الفور
فترتجف كتفاه وذراعاه
ويلتفت ، فلا يجد شيئا
بينما اضطرابه يزداد .

رهيبة النظرة الخفية
رهيبة لأنها لا تُرى
تحس بها ولاتستطيع ان تعرف
عينا مَنْ اللتان تراقبانك .

مجرد لعبة ، كلعب الأطفال
لا حب ، لا إغراض ، لا انتقام
وفى كل محفل يجمع البشر
توجد عينا **المخبر** السريتان هاتان .

المرء لا يدرك احيانا
لماذا يراوده هذا الاحساس :
يأتى الى الناس على سجيته
ويمضي عنهم وقد تبدلت حاله .

ثمة عين خير وعين سوء
ولكن من الأفضل الا تراقب أي عين
ففى كلٍّ منا الكثير والكثير
من القوى المجهولة المتحفزة . . .

يا للوحشة ! بعد ألف عام
لن نستطيع سير غور الروح
سنسمع دوران جميع الكواكب
وقصف الرعد فى السكون . . .

والآن . . نعيش في المجهول
لا نعلم مافينا من قوى
وكالاطفال نلهو بالنار
فنحرق أنفسنا والآخرين . . .

١٨ ديسمبر ١٩١٣

الكتاب الثالث (١٩٠٧–١٩١٦)

من مجموعة «عالم رهيب» ومن مجموعة «القصاص» ومن مجموعة «اوزان» واشعار مختلفة ومن مجموعة «قيثارات وكمنجات» ومن مجموعة «كارمن» ومن مجموعة «الوطن» ومن مجموعة «اناشيد الرياح» و مختارات من اشعار لم تدخل ضمن مجموعة الاعمال الاساسية .

من مجموعة «عالم رهيب»
(١٩٠٩ — ١٩١٦)

الى ربة الشعر

ثمة في انغامك المكنونة
نذير محتّم بالهلاك
وتدنيس للوصايا المقدسات
ولعنة تحل بالسعادة .

فيك قوة أخاذة
تجعلني اردد مع الدهماء :

أغويتِ الملائكة بجمالك
فسقطوا من علياء الملكوت . . .

عندما تسخرين بالعقيدة
تتوهج فوق رأسك فجأة
تلك الهالة الارجوانية الضعيفة
التى رأيتها فى زمن ما .

شريرة ، أم انت طيبة ؟ لستِ من هنا .
وغريب ان يقولوا عنك :
انت للبعض إلهة ، معجزة .
فلست لى سوى الشقاء والجحيم .

لست أدرى لماذا
ساعة الفجر ، حين خارت قواى ،
لم أمت ، بل رأيت بهاءك
وتوسلت منك العزاء ؟

كنت أبغى ان يقوم العداء
بيننا . . فلماذا وهبتنى
زهور المروج ونجوم السماء
ونقمة جمالك اللعين .

كانت ملاطفاتك الرهيبة
أدهى من ليل الشمال

وأسكرَ من نبيذ مذهب
وأقصر من هوى غجرية . . .

كانت سلوى وخيمة العواقب
فى انتهاك الوصايا المقدسات
وهذه النشوة المرة كالحنظل
نعيما جنونيا للفؤاد !

٢٩ ديسمبر ١٩١٢

في الجزر

عاد الثلج يلف العمدان ،
وجسر «يلاجين» ومصباحان
وصوت امرأة عاشقة
وصرير رمل وشخير حصان .

ظلاَّن اتحدا في قبلة
يطيران في اثر العربة
انا لا أتستر ، لا أغار
مع هذه الجديدة ، الأسيرة .

نعم ، هناك متعة حزينة
في زوال الهوى كذَوْبِ الثلوج
فهل ثمة داع للأيمان
بخلود الوفاء القديم ؟

كلا ، ليست أوَّل من أهوى
وأنا ، في دقتي الصارمة ،
لم أعد العب دور المطيع
ولا ابتغي منها الفراديس .

في كل مرة أحصي في صمت
باستمرارية هندسية منتظمة
خطوط الجسور ، والبرج ، وسرعة الريح
وخواء الجزر المنخفضة .

أراعي الطقوس : اضع الدثار بخفة
على ساقيها ونحن نطير بالعربة
احضن القوام الدقيق ، وأداعب ،
واندفع معها في الثلج والظلام .

واحفظ في ذاكرتي حذاءها الدقيق
وأعشق فراءها البارد . . .
ولم لا ، وصدرى لن يلاقى
سيف خطيبها في مبارزة . . .

وأمها لا تنتظرها عند الباب بشمعة
في قلق منذ وقت طويل . . .
ولا زوج مسكين يغار عليها
يرقبها من خلف خصاص الشباك .

كل ما توهج في الليلة الماضية
وكل ما يدعو اليه الحاضر
ليس الا استمراراً للحفل
وانتقالا من النور إلى الغسق . . .

٢٢ نوفمبر ١٩٠٩

في المطعم

لن أنسى ما حييت (ذلك المساء
أوهماً كان أم حقيقة) : لهيب الغروبِ
حريق يشق شحوب السماء
وفي المغيب الأصفر تشتعل مصابيح .

كنتُ جالساً في الصالة «المزدحمة قرب الشباك
وفي ركن ما شدت الأوتار بألحان الحب
ارسلتُ اليك زنبقة سوداء في كأس نبيذ
نبيذ مذهب كالسماء .

نظرتِ نحوى فاستقبلتُ النظرة المتغطرسة
في خجل وجرأة ، وحييتُ بانحناءة
التفتِ الى رفيقك ، وبحدة مقصودة
قلتِ : «وهذا عاشق آخر»

ودوت الأوتار في التو كأنما ترد
وغنت الأقواس بجنون . . .

وكنتِ معي . . باستعلائك الصبـي
ورعشة يدك التى لا تكاد تبين .

اندفعتِ بحركة طير قد أجفل
ومررت خفيفة كحلمي . . .
وتضوَّع العطر ، ونامت الرموش
وهسهس الحرير في اضطراب .

ومن أعماق المرآة رميتِ نحوي بنظرة
وصحتِ ، وأنت ترمينها ، «التقطها ! . . .»
والغجرية ترقص ، وعقودها تخشخش
وتزعق عن الغرام للغروب .

١٩ ابريل ١٩١٠

انسان هناك احترق
(فيت)

° ° °

ما أشقَّ أن تمشي بين الناس
متظاهراً بأنك لم تمت ،
وأن تخبرَ من لم يعيشوا الحياة
بلعبة اشواقها الفاجعة .

أن تمعن التحديق في كابوسك الليلي
لتلتقط خيط النظام في اضطراب المشاعر

لكى يرى الناس حريق الحياة المدمر
في انعكاسات الفن الشاحبة

١٠ مايو ١٩١٠

الطيَّار

أُطلق سراحُ الطيار
فهز زعانف مروحته
وكوحش بحرى يغوص فى الماء
انساب مع تيارات الهواء .

مراوحه تشدو كالأوتار . . .
وها هو الطيار الشجاع
يوجه تحليقه المروحى
الى الشمس المبهرة فوق النظارة . . .

أصبح فى الأعالى الشماء
يلمع نحاس المحرك . . .
وهناك تواصل المراوح
غناءها الواهن غير المنظور . . .

عبثاً تبحث العيون
فلن تجد أثرا فى السماء
وفى المنظار المرفوع بشدة
لا شىء غير الهواء الصافى كالمياه .

وهنا ، فى القيظ المتذبذب
فى العتمة المتصاعدة من المروج
ملاجئ الطائرات والناس وكل الاشياء
تبدو كأنما ضُغطت الى الأرض . . .

ومن جديد ، فى الضباب المذهب
كأنما لحن سماوى . . .
تقترب لحظة دوى التصفيق
وتفاهة الرقم القياسى العالمى !

تهبط الطائرة اكثر فأكثر
وتئز الزعانف بشدة
وفجأة . . . فى تلك الرتابة
يحدث توقف أخرق بليد . . .

وانحدر بزاوية مخيفة
الوحش ذو المراوح الصامتة . . .
فلتبحث عيناك الذاويتان
عن ركيزة فى الهواء . . . الخاوى !

فات الاوان . . فعلى عشب السهل
امتد قوس جناحين مكسور
وفى تشابك اسلاك الآلة
ذراع فارقتها الحياة .

لِمَ كنت جسورا فى السماء
فى أول وآخر رحلاتك ؟
ألكى ترفع اليك اقحوانَ العيون
لبؤةٌ ارستقراطية وضيعة ؟

أم تراك امتلأت بالاعجاب
لنكران الذات الوبيل
همت بجنون السقوط
وأوقفت المراوح عمداً ؟

أم سمّم ذهنك المسكين
هولُ الحروب القادمة الرهيب
فرأيت الافعوان الطائر فى الظلام الملبد
ينقض على الأرض بالديناميت ؟

١٩١٠ — يناير ١٩١٢

رقصات الموت

١

ما أصعب على الميت ان يعيش ويتظاهر ،
بين الأحياء ، بالحياة تدب فيه والعواطف
ولكنْ عليه ، عليه ان يتصل بالمجتمع الراقي
ومن أجل المنصب ان يخفي طقطقة عظامه . . .

الأحياء نيام . والميت ينهض من تابوته
يمضي الى البنك ، إلى المحكمة ، الى المجلس . . .
واذ تزداد الليلة نوراً يزداد حقداً
وتصر الأقلام صرير الظفر .

الميت يكدح طول اليوم . . . يدّبج تقريراً
وحين ينتهى الدوام ينهض ، ويهز مؤخرته
ويتمتم فى أذن السناتور
دعابة بذيئة . . .

حل المساء ، ورذاذ المطر يلوث بالوحل
العابرين ، والبيوت وشتى التفاهات . . .
أما الميت فتحمله الى عبث آخر
سيارة تاكسى تتحشرج وتصر .

الى الصالة الغاصة بالناس والأعمدة
يسرع الميت ، فى حلة «فراك» أنيقة ،
يستقبله بابتسامة عطف ومودة
سيد الدار الأحمق وسيدة الدار الحمقاء .

قد تعب الميت من ملل نهار الخدمة
لكن الموسيقى غطت على طقطقة العظام
فيصافح أيدي الزملاء بقوة
فلا بد وأن يبدو حياً ، لا بد !

ما أن تلتقى عند العمود عيناه
بعينى صاحبته ، الميتة مثله ،
حتى تسمع كلمات حية
تتخلل حديثهما الارستقراطي المجامل :

— «يا صاحبى المكدود ، اشعر بالغربة فى هذه القاعة»
— «يا صاحبي المكدود ، ما أبرد القبر» —
— «انتصف الليل» — «نعم ، لكنك لم تدعُ
الى رقصة الفالس (ن . ن) المتيمة بحبك . . .»

وهناك تبحث (ن . ن .) بنظرات ولهانة
تبحث عنه ، عنه ، وفى الدماء اضطراب . . .
وفى محياها العذري الرائع
اعجاب فارغ لحبٍ مترع بالحياة . . .

يهمس فى أذنيها بكلمات تافهة
كلمات تأسر ألباب الأحياء
ويرى كتفيها تتضرجان بالدماء
ورأسها يميل فى حنان . . .

وسمّ الحقد الارستقراطى المألوف الزعاف .
يبذره مع حقد غريب ليس من هنا . . .
«ما أذكاه ، ما اذكاه ! كم يهواني !»

وفى سمعها رنين غريب ليس من هنا :
ذاك صرير اصكاك العظام .

١٩ فبراير ١٩١٢

٢

ليل ، شارع ، مصباح ، صيدلية .
والضوء كليل لا معنى له .
لو عشت ربع قرن آخر ، سيان
كل شيء سيبقى كما كان . . . لا مفر .
لو مت ، فسوف ابدأ من جديد
ويتكرر كل شيء كما من زمان :
الليل ، وارتعاش القناة الثلجية ،
والصيدلية ، الشارع ، المصباح .

١٠ اكتوبر ١٩١٢

٣

الشارع خاو ، وضوء وحيد فى شباك
وصيدلي يهودي يتأوه فى المنام .

وأمام صوان كتب عليه «سموم»
ثنى ركبتيه فندّ عنهما صرير —

هيكل عظمي ، ملفع بمعطف حتى العيون
يبحث عن شيء ، فاغراً حفرة فمه السوداء

وجد ما يريد . . . واصطدم صدفة بشيء فصلصل
فاستدارت الجمجمة . . . الصيدلي سعل .

ونهض قليلاً ، وانقلب على الجنب الآخر . . .
أما الضيف فكان يمد القارورة المنشودة

من تحت معطفه لامرأتين أكل الزهري أنفيهما
في الشارع تحت ضوء المصباح الكليل .

اكتوبر ١٩١٢

٤

حلم قديم ، قديم . من الظلام
تندفع مصابيح مسرعة — الى أين ؟
هناك . . . المياه الحالكة
هناك . . . الى الأبد النسيان .

ينسلُّ ظلٌّ من الزاوية
ونحوه يزحف ظل آخر .
المعطف مفتوح ، والصدر أبيض
وحمرة تتوهج في عروة «الفراك» .

ظل ثان — فارس رشيق
أم عروس باكليل الزفاف ؟
خوذة وريش . ولا وجه .
بل جمود الموات .

جرس الباب يدوي
ويتحشرج قفل الباب
ويدلف عبر العتبة
مومس وعربيد . . .

تعول الريح القارسة
في الخواء والسكون والظلام
وفي الأعلى نافذة مضيئة .
سيّان .

المياه حالكة كالرصاص .
وفيها الى الأبد النسيان .
شبح ثالث . الى أين
ايها الزاحف من ظل لظل ؟

٧ فبراير ١٩١٤

٥

الغني حاقد ، سعيد من جديد
والفقير مذّل من جديد

ومن اسطح الكتل الحجرية
يطل الهلال فى شحوب

يفرش السكون ،
ويُبرز انحدار
الزوايا الحجرية
وسواد السقائف . . .

سدىً يكون كل ذلك
لولا وجود القيصر
ليحرس القانون

عن القصر لا تفتش
عن الوجه البشوش
عن تاجه الذهب .

هاهو يظهر
من القفار البعيدة
فى ضوء المصابيح القليلة .

العنق مربوط بمنديل
وعلى الرأس قبعة مثقوبة
والوجه مبتسم .

٧ فبراير ١٩١٤

° ° °

تطير العوالم ، تطير السنون ، والكون
يحدق فينا خاويا بظلام العيون
وانت ، ايتها الروح المرهقة ، الصماء ،
إلامَ ترددين الحديث عن السعادة ؟

ماالسعادة ؟ أهي طراوة المساء
فى غسق الروض ، فى سكون الغاب ؟
ام هي النشوات العابسة ، الرذيلة
للخمر ، للشهوات ، لهلاك الفؤاد ؟

ما السعادة ؟ لحظة قصيرة ، مضغوطة ،
نسيانٌ ، حلمٌ ، وراحةٌ من الهموم . . .
تستيقظ منها فتهوي من جديد
سقوطا جنونيا ، مجهولاً ، يعصر القلب . . .

تلتقط الأنفاس ، ها قد مرَّ الخطر . . .
وفى اللحظة ذاتها — صدمة أخرى !
فالخذروف الذى أُطلق مرة ، كيفما كان
يدور ، يئز ، يستعجل الخذروف !

نتشبث بالطرف المنزلق الحاد
وفى آذاننا يئز الطنين بلا توقف
ترى ألا نجنُ فى التغير المشوش
للعلل المختلقة ، للفراغات ، للأزمان . . .

متى تحل النهاية ؟ لن تعود لدينا القوة
لسماع الصوت اللحوح بلا توقف . . .
كم هو مرعب كل شيء ! كم هو متوحش !
هات يدك يا رفيق ، يا صديق ولنعد
الى الغيبوبة .

٢ يوليو ١٩١٢

٥

لاحقني شحاذ أحمق
يسير فى اعقابى كظلّي
يسألني : — «اين نقودك ؟» — «ضيعتها على الشراب»
— «أين قلبك ؟» — «غاص فى القرار» .

أسأله : «ماذا تريد ؟»
— «ان تكون ، مثلى ، صريحا ،
ومثلي في الذل مستكينا
ولاشيء اكثر يا صديقي»

— «لِمَ تقحم نفسك فى قلوب الناس ؟
اغرب من وجهي ، دعني ، أفسح الطريق !»

— «اتظن يا عزيزى أننا اثنان ؟
مخطىء ، انظر حولك ، تلفّت . . .»

وحقاً (ويالها معضلة !)
نظرت ، فلم أر قربى أحداً . . .
بحثت في جيبي . . . فلم اجد شيئا . . .
نظرت داخل قلبـي . . . وبكيت .

٣٠ ديسمبر ١٩١٣

من مجموعة «القصاص»
(١٩٠٨ — ١٩١٣)

* * *

كنت أنسى البطولات والمآثر والأمجاد
على وجه الأرض
حين يهلُّ عليَّ محياك
من اطار بسيط على الطاولة .

وها قد حلَّت الساعة فهجرتِ الدار .
فألقيتُ فى الظلام بالخاتم المنشود

منحت قدرك شخصا آخر
فنسيتُ المحيا الجميل .

طارت الأيام كسرب نحل ملعون . . .
أحالت الخمرة والأشواق حياتى جحيما . . .
تذكرتك حين وضعتِ على رأسك الاكليل
وناديتك كما أنادي صباي . . .

ناديتك فلم تلتفتي إلي
وأرقت دموعي فلم تعطفي
والتففتِ حزينة بمعطف ازرق
وفى الليل الممطر هجرتِ الدار .

لا أدري أين وجدتِ ملاذاً
لكبريائك ، يا حبيبتى الحنون . . .
في نومي العميق أرى معطفك الأزرق
وقد خرجتِ فيه الى مطر الليل . . .

كل شيء ولَّى ، وضاع الشباب
وانطوت الأحلام بالحنان والمجد
ومحياك فى اطاره البسيط
رفعته بيدي عن الطاولة .

٣٠ ديسمبر ١٩٠٨

من نسوك

حانت الساعة ، لفَّ الزمان معطفه
ووميض السيف ، وانهارت الجدران
فمضيت مع الجموع . الى حيث يمضى الجميع
الى الذرى المضببة الغاضبة .

تكشفت وراء المهاوي مهاو
تذمر الجمع ، وخارت قوى القواد
تكاثفت علينا غيوم العواصف
تمزقها شرارات البروق .

ارتخت السواعد كالسياط ،
وعندما تكورت القبضات
تهدد الرعود ، بكى الأطفال
وعقدت الزوجات المناديل .

تخلفتُ منهكا ، وغادرت الصف
وتبعنى جمع من رفاق الطريق
لم تشرق السماء الزرقاء فى وجوهنا
واحتجبت الشمس خلف غيوم العواصف .

همنا ، وتذمرنا فى عجز
ولم نجد أكواخنا القديمة
وتجمعنا حول النار الليلية نرتجف
ونأمل ان نجد الطريق . . .

سدىً نارنا ! سدىً تجوالنا !
فقد حلمنا دون ان نحب الأحلام
وهكذا تُكتب تعاسة المنى
لمن ينساك .

أول اغسطس ١٩٠٨

° ° °

ارادت ، مثلما مضى ،
ان تنفخ من روحها
فى جسدي المنهوك
فى مسكني البارد .

أشرفت علىَّ كالسماء
فلم استطع ان أمد اليها
ذراعي المريضة
وأقول كم اشتقت اليها . . .

نظرتُ بعينين كليلتين
وقد انحنت علىَّ حزينة
فلم تعد بيننا كلمات
ولا سعادة ولا ضغينة . . .

قلبي الدنيوي تعب
من كثرة السنين والأيام

والسعادة الدنيوية تأخرت
بعربتها المسعورة الركض !

اخيرا أرقد فى فراش الموت
اكابد اشواقاً أخرى
قريرا بالشمس الغاربة
ولا أخشى الظلام الأبدي . . .

حَّدقَ في عينيّ الخلود
وألقى الطمأنينة فى قلبـي
وصبَّ نداوة الليل الأزرق المنعشة
فأطفأ نار الاشواق . . .

٣٠ يوليو ١٩٠٨

° ° ° الى يفجينى ايفانوف

حين تبحث سدىً عن الوحدة
دالفاً الى العالم الكبير
وحين تحدق فى الزاوية المظلمة
منتظراً خروج الموت ،

حين تثور غضبا ، أو تسقط مريضا
والوحشة أو الاشواق تكويك

ساعتها ، صدقني ، أنت محق
ان تختال معتزاً بسعادتك !

وحينما تكف عن الاحساس
بدبيب السأم ، او الحب ، أو الخوف ،
وحين تتلوث الأحلام
بدم ليس شابا وحاراً —

حينذاك فأنت مسلوبٌ ، عريان .
فالموت مستحيل بدون العذاب .
وان لم تذق في الحياة الهلاك
فليست حياة ، ولكنها . . مجرد خطو بطيء .

مارس ١٩٠٩

° ° °

هبَّت عليَّ من الحياة ريح القبر
ولن أتنفس العاصفة المشبوبة بعد الآن
رجاء وحيد يلح عليَّ
مشيراً الى الطريق الأخير :

ان ادس السم الخفي في ابداعي
سم روح ادركتها المنون

كيما اسمم قلوب البشر
باحتقار ناضج غضوب .

مارس ١٩٠٩

° ° °

النهار الربيعي انقضى بلاعمل
أمام النافذة التى لم تُغسل
وخلف الجدار تضجر وتغني
زوجتى مثل طائر حبيس .

جمعتُ على مهل ، ببرود
الذكريات والأعمال
واصبح واضحاً بصورة قاسية :
ها قد غاب ضجيج الحياة .

ستعود الأفكار والجدال
ولكن فى ملل وظلام
ما الداعى لاسدال الستائر على الشباك ؟
وقد غرب النهار فى قلبى من زمان .

مارس ١٩١٩

من مجموعة «أوزان»
(١٩٠٧ — ١٩١٤)

Fecit indignatio versum.
Juven. Sat. 1, 79*

مهداة الى ذكرى المرحومة
اختى انجلينا الكسندروفنا بلوك

° ° °

أوّاه ، كم أريد ان اعيش :
اخلّد الموجودات
أجسد الكائنات
احقق الأمنيات .

---

* الغضب يلد الأشعار . يوفينال . الهجائيات ١ ، ٧٩ (باللاتينية) .

ليجثم على صدرى كابوس الحياة
ولأختنق فى هذا الكابوس
فقد يقول عنى فتى بشوش
فى مستقبل الأيام :

لنغفرنّ له الجهامة ، فهل فيها
كان جوهره الدفين ؟
لقد كان كله وليد الخير والضياء
وكان كله رمز انتصار الحرية !

٥ فبراير ١٩١٤

° ° °

ألصقت بالأرض أذني
وكتمت صرخة العذاب
وأنتَ بالأنين الأبح
تعذب روحك فى الظلام .

ألا فلتنهض ، ولتشتعل ، ولتحرق !
الا فلترفع مطرقتك الراسخة
كى يشع البرق ويمزق
حجب الظلام الصماء .
فى باطن الأرض تحفر ايها الخُلْد
وأسمع صوتك الأبح الأجش . . .

عجِّلْ ، ولتذكر ان السنبلة الضعيفة
ستهوي تحت نصال بلطاتهم
احفر الأرض القاسية كالحبة
واخرج الى النور ، واشهد :
فخلف انتصارهم العارض
تتلبد الآفاق بغسق القبور
فلترعَ ولتسق ولتحضن النبت الجديد
فما أن يمر الربيع فوق هذا النبت
الذى روته دماك
حتى يشرق فجر حب جديد .

٣ يونيو ١٩٠٧ *

* * *

فى ظل العبودية المريضة الجائعة
الأيام عقيمة تمضى والسنون
فمتى يهب الحقل ويستيقظ
ويتنفس الشعب المذلّ الصعداء ؟

فى ايام الصيف ترفرف السنابل
راقصة مع النسيم الخفى فى الظلام

---

* كتبت القصيدة فى نفس اليوم الذى حُلَّ فيه مجلس «الدوما» (البرلمان) وتحول النظام القيصرى الى اساليب الارهاب والتنكيل ضد الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ — ١٩٠٧) . وكان الشاعر قد وضع — فى المخطوطة الأولى — عنوانا لهذه القصيدة هو : «إلى العامل» — **المعرب** .

وتنحنى للأرض وتستقيم ثانية
مهللةً لموسم تفتح الزهور .

الشعب تاج زهور الكون
فيه جمالها وفرحتها
وسنشهد نحن ايضاً
الصيف المبارك آتيا .

١٥ فبراير ١٩٠٩

* * *

أجل ، أسمع أمر الوحى :
فيطير حلمى الحر ويميل
الى وهاد الذلّ والمهانة
والوحل ، والظلام ، والفاقة .
أحب هذا العالم الرهيب
واستشف فيه عالما مغايرا ،
رائعاً ، موعودا !
فى بساطة الانسان .
فإذا كنتَ لا تزرع ، لا تحصد
راضيا بحياتك «كمجرد انسان»
فماذا تعرف ؟ وكيف تجرؤ
على اصدار احكامك فى هذا العصر المجنون ؟
ترى هل ذقت يوما

ذلّ المرض ، أو الجوع ، أو الحرمان ؟
وهل رأيت اطفال باريس
أو البؤساء على الجسر فى الشتاء ؟
هيا افتح عينيك لتبصر
كابوس الحياة الحالك
قبل ان يكتسح الاعصار الجارف
كل شىء على أرض وطنك
ولا تصوب سهام غضبك الأبىّ
الى مَنْ ينوء كاهله بعبء الحياة
حتى لو منهم مَنْ بذر الشر
فان زرعه لم يذهب هباء . . .
كان محقاً ولو برفضه
بهرج هذه الحياة الزائف
وكخلد فزع فرّ من النور
ولاذ بجوف الأرض فذبل هناك
حاقداً فى قسوة طوال الحياة
وصاباً على الدنيا جام اللعنات
فإذا لم يكن قد أبصر المستقبل
فكفاه أنْ صاح بوجه الحاضر : **لا !**

سبتمبر ١٩١١

° ° °

ويبرد قلب الأرض من جديد
لكنى استقبل البرد بصدر مفتوح
أحب الناس حبا غير متبادل
فى هذا العالم حيث لا بشر .

ومع الحب يتصاعد الغضب
وازداد احتقاراً لهم ، وأودّ
أن أرى فى عيون رجالهم ونسائهم
علامة نسيان أو اعجاب .

فليناديوا : «انسَ يا شاعر
وعد الى عشك الجميل المريح !»
لا ! لأهلكنّ فى الصقيع الرهيب
فلا وجود للراحة ، للهدوء .

١٩١١ — ٦ فبراير ١٩١٤

قصائد مختلفة
(١٩٠٨ — ١٩١٦)

الشعراء

فى ضواحى المدينة ، وسط المستنقعات
حيث الارض رجراجة ، لزجة
يقوم حىّ مقفر يقطنه الشعراء
كلٌ منهم يتعالى على الأخر .

عبثاً تشرق الشمس
فوق ذلك المستنقع الكئيب

فأهله يقضون الأيام
فى السكر والكد العنيد .

وحين يثملون يقسمون بالصداقة
يثرثرون فى صراحة مبتذلة
وقرب الصباح يتقيأون ، ثم يعكفون
على التأليف فى حماسة بليدة .

وكالوحوش ينسلّون من اوكارهم
لكى يمتعوا العيون باشتعال البحر
وبضفائر المارات الذهبية
يبدون اعجابا ينم عن خبرة .

يهيمون ويسترسلون فى الأحلام
عن ايام ستأتى بالسعادة
يسبون الناشرين طراً ويتباكون
على زهرة او لؤلؤة غيمة .

هكذا عاش الشعراء ، صديقى القارئ !
اتراك تظن ان قدرهم اسوأ
من مساعيك اليومية العاجزة
فى مستنقع همومك التافهة ؟

كلا ، مخطئ انت ، يا ناقدى الضرير
فالشاعر لديه على الأقل

كنوز الضفائر ، والغيمة ، والاحلام
ومحال ان يتاح لك مثل هذا ! . .

ستظل قريراً بنفسك وزوجك
فخوراً بدستورك المبتور
لكن لدى الشاعر قانون العالم
والدستور وحده لا يكفيه .

فلأمُتْ في الطريق ككلب ضال
ولتدسني الحياة ولتمرغني في الارض
فيقيناً انه الرب غطاني بالثلج
وهي الزوبعة اخذتني في احضانها .

٢٤ يوليو ١٩٠٨

° ° °

أتذكرين ؟ مياهُنا الخضراءُ كانت نائمة
في خليجنا النعسان ،
حين دخلته السفن الحربية
زاحفة في رتل هندي .

أربع سفن رمادية اللون .
فبدأنا نتساءل و نخمن
والبحارة السمر يخطرون امامنا
في كبرياء ووقار .

وازداد العالم اغراءً و رحابة . . .
واذا بالسفن الاربع ترحل
فوقفنا نتتبع رحيلها بنظراتنا
وهي تغوص في المحيط والليل .

ومن جديد اصبح بحرنا عاديا
وارسلت المنارة ومضاتها الكئيبة
عندما أدّت الاشارات الضوئية
آخر تحايا الوداع .

ما أقلَّ ما يرضينا في الحياة
نحن الاطفال ، انا وانت ،
قلوبنا تهيم فرحا
بكل نَزْرٍ جديد

فذّرة بسيطةٌ من أقطار نائية
التصقت صدفةً بمدية في الجيب
تكون كافية احيانا ليبدو العالم
غريبا زاهيا في كساء من الضباب

١٩١١ — ٦ فبراير ١٩١٤

في قفص الاتهام

لِمَ أطرقت محتارة ؟
انظري اليَّ كما كنتِ تنظرين !

أصبحتِ هكذا تبدين في المهانة
وفي ضوء النهار الذي لا يرحم .

أنا ايضا لستُ كما كنت
— أبيًّا ، طاهراً ، غضوباً ، عزيز المنال —
اصبحت نظرتي اكثر تسامحاً ويأسا
الى درب الحياة الطويل الممل .

ليس من حقي ، ولا أستطيع
ان اوجه اليك اللوم والعتاب
على حظك العاثر المعذب
الذى قُدِّر ، مثلك ، لنساء كثيرات .

فإنني اعرف حياتك
ليس كما يعرفها الآخرون
واعرف خيراً من كل القضاة
أمام اية هوة كنتِ تقفين .

اعرف اياماً كان الهوى المهلك
يقودنا فيها على حافة الهاوية
آنذاك تقنا الى تحطيم القيود
كي نطير سوية . . ثم نسقط .

كنتِ دائما تحلمين
بأن نحترق في ضرام الغرام
وحين يطوينا الردى معاً
نبلغ شاطئ النعيم .

فما العمل اذا كان الحلم خدعك
شأنه شأن كل الأحلام
واذا كانت الحياة بقسوة
قد الهبتك بسوطها المفتول ؟

لا تبالي بنا الحياة في عجلتها
فلنغفر للحلم الكذوب
أفلم تكوني معي سعيدة
في ذلك الزمان يوما ما ؟

خصلة شعرك هذه ، الذهبية
تتوهج بقديم النيران
انت مشبوبة ، كافرة ، تافهة ،
اغفري لي ، لست بناسيك .

١١ اكتوبر ١٩١٥

وراء النافذة . . الأمطار والوحول
ولا أدري علامَ أتحسر
ينتابني الملال والرغبة في البكاء
ولا أعرف بقواي ما أفعل .

كآبة صمّاء ، مالها أسباب
ودوامة افكار ليس منها فكاك . . .
دعينا نعد شظايا الخشب
ونوقد جذوة السماور .

عسى ان تزيل نشوة الشاي
غشاوة النعاس في عينيك
وتعيد اليهما شكاياتي
شرارات فرح نادرة .

لنشرب نخب العادات القديمة
نخب حياة هادئة !
عسى أن يذيب بخار الشاى
هموم النفس الثقيلة !

١٠ ديسمبر ١٩١٥

تقول انى بارد ، ومنطوٍ ، وجاف .
صدقت ، اني هكذا معك .
انا لم اشحذ ارادتى من أجل الملاطفة ،
ولا من أجل الصداقة نازلت الأقدار .

وأنت ، ألم تكن بالأمس اشد جرأة ، جهامة ؟
وكنتَ تقرأ النجوم ، كنت تعلم
أن الليالي الآتيات حالكة السواد
وليلها الطويل ممتد بلا انتهاء .

وها قد تحققت النبوءة . . . والكون موحش . خواء
وكل من لم يستطع ادراك ما تنبأت به النجوم
ليس بقادر على تحمل هذه الظلمات .

من كان يجهل الماضى ولايعرفه
ويظن الليل القادم خواء
اعماه حقده ويأسه من أن يرى
وشفتاه التوتا فى تقطيبة ازدراء .

أجل ، بالأمس كانت الآمال وساطع الايمان
وكنتُ مثلك بريئا ، أميل للتصديق
امضي الى الناس كطفل بقلب مفتوح
ولا اخاف من نميمة أو افتراء .

والآن ضاعت الآمال ، مالها أثر
وغاب كل شيء فى النجوم النائية
ومن كنتُ القاهم بقلب مفتوح
اصبحت مرغماً ان ادير لهم الظهر .

وقلبـي الذى كان يفيض لهفة ، لهيبا
يستعجل الزمان توّاقاً الى الاشواق
الحب والعداوة استنزفاه
واحترق فى نارهما ، ذلك القلب .

ماذا بقى ؟ لم يبق الا حاجب لوته بسمة ،
فمٌ مطبق ، وقدرة — تثير الأسى —
على الهاب الدم الانثوي النَهِم
واشعال ناره الوحشية الشهوات .

فلا تطرق بابـى الموصد سدىً
ولا تعذب نفسك بأنين لا يجدي
فلن تلاقي العطف فى قلوب وحوش مسكينة
كانت تعدُّ بشراً بالأمس .

انزل على وجهك قناعاً من حديد
وانت تحني الرأس للرفات المقدسة
واحفظ جنّاتك بالحديد حتى يحين الأوان
من هؤلاء العبيد الجهلاء .

٩ يونيو ١٩١٦

من مجموعة «قيثارات وكمنجات»
(١٩٠٨ — ١٩١٦)

° ° °

الناى يشدو على الجسر
واشجار التفاح مزهرة
أشعل ملاك فى السماء
نجمة وحيدة خضراء
وقفتُ مبهوراً على الجسر
انظر تلك الأعماق
تلك السماء البعيدة .

الناى يشدو : هلَّ الفجر
فامضِ بقطعانك ياراعٍ . . .
وتحت الجسر تشدو المياه
انظرْ ، ما اسرع مجراها
ودِّعْ همومك للأبد
لم تَرَ يوما اعماقا
بمثل هذه الشفافية . . .
ولم تسمع يوما سكونا
بمثل هذا العمق . . .

انظر ما أسرع المجرى
أم انها احلام طافت برؤاي ؟

٢٢ مايو ١٩٠٨

° ° °

أنا ايضا قد عرفت الهوى
و ذقت جنون الجوى و عذابه
و مرارة الهزيمة و نشوة النصر
واسم «العدو» و لفظ «الصديق» .

كُنَّ كثيرات . فماذا بقي لي ؟
ذكرياتٌ . . . ظلال احلام . . .
بقيت لي اسماؤهن الذهبية
أرددها بوقع غريب .

كُنَّ كثيرات . لكنني جمعتهن
في محيا واحدٍ
صاغق الجمال
اسمه : اشواقي و حياتي .

وفي ذروة الشوق السحرية
صاعدا الى عنان السماء
رأيت أخرى تسير
الى مضجع الشهوة المهلكة . . .

نفس القبلات . . . نفس الكلمات . . .
والرجفة الكريهة لشفاه بشعات . . . .
والكتفان . . . . كم سئمتهما !
كلا ، العالم خلو من الاشواق ، خواء و نقاء .

سأفتح صدرى للبهجة
واقفاً على ذرى الجبال
سأهيل منها الثلوج على وديان
احببت فيها و قبلت النساء .

٣٠ مارس ١٩٠٨

° ° °

شهر أيّار القاسي بلياليه البيضاء . . .
دقات متوالية على الباب : «اخرج !»
غيمة زرقاء خلف الظهر
وفي الأفق : المجهول والهلاك . . .
نساء بعيون زائغات
وبورود ذابلة دوما على الصدور . . .
استيقظ ! اطعني بسيوفك ،
وخلصني من قيود الاشواق . !

ما أحلى ان يمرح المرء في المروج
وأن يدور في حلقة الراقصين النارية
ويشربَ النبيذ و يضحكَ مع الحبيبة
ويفتلَ اكاليل الزهور
ويهدي الى حبيبات الآخرين الورود
ويذوب في الشوق و الحزن و السعادة —
ولكن من الاجدر به أن يسير
في ندى الصباح المنعش وراء محراث ثقيل .

٢٨ مايو ١٩٠٨

° ° °

مسمَّر انا الى مائدة الخمّارة
ثملتُ من زمان ، ولا أبالي بشيء
طارت سعادتي في عربة بثلاثة جياد
وغابت في دخان فضي . . .

اختفت طائرة في العربة ، غرقت
في ثلوج الزمان ، في مدى القرون
و تركَتْ قلبي غائصا
في ظلمة فضية أثارتها حوافر الخيول .

الظلمة تقدح الشرار
فتسطع الليلة اشدّ السطوع ،
و أجراس العربة ترن باكية
على السعادة التي لن تعود . . .

و ظلّت عدّةُ الخيول المذهبة
تطارد نظرى و سمعي حتى الصباح
و كانت نفسي الصماء
سكرانة . . . سكرانة . . . .

٢٦ أكتوبر ١٩٠٨

° ° °

كنت متغطرسا أبيا
وها انا اليوم مع غجرية في الجنة
وأرجوها خجولا متواضعا :
«ارقصي لي ، يا غجرية ، رقصة حياتي» !

وتدوم رقصتها الرهيبة طويلا
وتمر حياتي أمام عينيّ

حلماً جنونياً ناعساً جميلا ،
حلماً كريهاً بشعا . . .

تدور تارة رافعةً ذراعيها
وتزحف تارة أخرى كأفعى ،
وتتسمر فجأة في فتور الملل
ويسقط الدف من يديها .

كم كنتُ غنيا فيما مضى
وما أبخس كل شيء الان :
العداوةُ ، الهوى ، المجدُ ، الذهب
والكآبةُ القاتلةُ و الضجر .

١١ يوليو ١٩١٠

° ° ° °

حاوَلَتْ أولاً ان تخفف من الأمر
ثم فهمتْ و راحت تعاتبني
هازةً رأسها الجميل
مجففةً بالمنديل الدموع .

وضحكت تثيرني بأسنانها
متناسيةً احزانها على الفور
ثم استدركتْ فجأةً فانتحبتْ
مسقطةً دبابيسها على المائدة .

مضت عني بوجه قاتم
ثم التفتت وعادت تنتظر
ثم انهالت عليّ لعناتها . . . وذهبَتْ
— هذه المرة ، يبدو ، الى الأبد . . .

اذن ، فالوقت قد حان لي
للعودة الى العمل القديم
ترى أولّت حياتي مرفرفة
كما رفَّ فستانها ثم غاب ؟

٢٩ فبراير ١٩١٦

° ° °

كنتِ أسطع الكلّ ، وأوفى ، و أجمل
فلا تلعنيني ، ارجوك !
قطارى يطير كأغنية غجرية
كتلك الايام التي لن تعود .

و يبقى ورائي كل ما كنت أحبه
و أمامي الطريق مجهول . . .
مباركٌ ما مضى ، لا يزول
و العود مستحيل ، فاعذريني . . .

٣١ اغسطس ١٩١٤

° ° °

و مرت السنون و السنون
وحلمت هذه الليلة فجاة
انها لم تكن تحبني ابدا —
— اين كانت عيناك ، ايها الغبي ، حتى الان ؟

حلمت ان لقاءنا كان صدفة . .
صدفةً قابلتني في الطريق
ثم برد شوقها الصبياني نحوي
فقالت : «سامحني . . . الوداع .»

ولكن قلبي لا يزال يخفق بحبها
و اللحظات التي اقضيها مع غيرها سموم
و نفس الافكار و نفس الاغنية
هي التي راودتني هذه الليلة في المنام .

٣٠ سبتمبر ١٩١٥

من مجموعة «كارمن» *
(١٩١٤)

كما يغيِّر المحيط لون مائه
عندما تومض بارقة خاطفة
فجأةً في احتشاد الغيوم ،
يغيّر قلبي في العاصفة المنشدة

---

* أهدى الشاعر قصائد هذه المجموعة الى فنانة الأوبرا لوبوف الكسندروفنا ديلماس (١٨٧٩ — ١٩٦٩) التى لعبت دور الغجرية «كارمن» فى أوبرا بيزيه التى تحمل نفس الاسم . وقد هام بها الشاعر بعد ان شاهدها على خشبة المسرح فى اكتوبر ١٩١٣ . **المعرب** .

وجيبه ، كاتماً أنفاسه
وتصعد الى الوجنتين الدماء
وتخنق صدري دموع السعادة
عندما تظهر كارمن الصغيرة .

٤ مارس ١٩١٤

* * *

من بين عشاق كارمن
المسرعين جماعةً مزركشة
داعينها اليهم
يقف واحد كالظل الى جدران
حانة ليلاس — باستيا الليلية
صامتا ، ينظر في عبوس
لا ينتظر ولا يرجو اهتماما .

وحين تدق الدفوف
وترن الأساور في المعاصم
يتذكر أيام الربيع ،
يتطلع الى قدها المترنم
ويرى أحلاماً شعرية .

٢٦ مارس ١٩١٤

° ° °

نعم ، الحب حرٌّ كطائر
ولكني أسير هواك !
ودوما سيخطر لي في المنام
قدُّكِ الممشوق ، الناري !

نعم ، في قوة يديك الجميلتين الوحشية
في مقلتيك ، حيث أسى الخيانات
يتجمع كل هذيان أشواقي الخائبة
ولياليَّ المسهدة ، يا كارمن !

سوف أترنم بك
وأهب السماء صوتك
وكالكاهن سأقيم الصلاة
للنجوم من أجل نارك .

ستثورين موجةً عاصفة
في نهر اشعاري
ولن أمسح من يدي
عطرك ، يا كارمن . . .

وفي هدأة الليل الساكنة
كلهبٍ يتوهج خاطفاً
سيشرق وجهك الطاغي
بألق الاسنان البيضاء .

اكابد لوعة أملٍ عذب :
أن تذكريني وأنت في الغربة
أجولَ بخاطرك فكرة
ذات يوم ، ولو خاطفة . . .

وراء عاصف الحياة ، وراء الظنون ،
وراء أسى كل الخيانات
فلتمثلْ تلك الفكرة رزينة
بسيطةً ، بيضاء كالطريق
كالرحلة البعيدة ، يا كارمن !

٢٨ مارس ١٩١٤

من مجموعة «الوطن»
(١٩٠٧ — ١٩١٦)

رحلتِ عني وتركتني فى الصحراء
منكفئا على الرمال الساخنة
ولم يعد اللسان بقادر
على التفوه بالكلمات الشماء .

ودون أن ارثي لما كان
أدركتُ سمو مقامك :

أنت لي كالجليل الحبيب
أنا المسيح الذى لم يبعث .

فلينعم غيري بحبك
ولينشر النبأ الرهيب :
ابن الانسان لا يعرف
مكانا ليوسده رأسه .

٣٠ مايو ١٩٠٧

فى ميدان كوليكوفو*

١

تماوجت مياه النهر ، حزينة ، وئيدة
تغسل الشطآن .
وعلى طين الجرف الأصفر الأجرد
أكوام الدريس فى السهب حزينة .

روسياى الحبيبة ! روسياى زوجى !
درينا الطويل واضح حتى الألم !

---

* فى هذا المكان قرب اعالى نهر الدون وقعت المعركة الشهيرة التى سحقت فيها القوات الروسية بقيادة الأمير ديمترى دونسكوى الجحافل المغولية–التترية بقيادة ماماى (٨ ديسمبر ١٣٨٠) والتى لعبت دورا بارزا فى تحرير روسيا من الاحتلال المغولى–التترى — **المعرب** .

قد شقَّ دربُنا الطويل صدرَنا كسهم
اطلقته المشيئة التترية القديمة .

طريقنا السهوب ، لا تحدّه الهموم
همومك يا روسيا !
حتى ظلام الليل والغربة . . .
هذا الظلام لا أخشاه .

ليكن الليل . سنصل سراعاً ، ونضيء
آماد السهوب بالنيران .
وفي دخان السهوب تبرق الراية المقدسة
وفولاذ سيف الخان . . .

معركة الى الأبد ! والراحة محض حلم
يلوح في الدخان والدماء . . .
تطير مهرة السهوب ، تنطلق
تدوس بحوافرها الاعشاب . . .

ولا نهاية ! وتمرق الفراسخ ، الجروف . . .
توقفي !
تمر ، تمر السحب المذعورة
والمغيب مضرج بالدماء !

المغيب مضرج بالدماء ! تسيل الدماء من القلب !
فاشرق ياقلب بالبكاء . . .

فلا راحة ! ومهرة السهوب
تطير رامحة !

٧ يونيو ١٩٠٨

٢

في نصف الليل وقفنا ، صديقي ، فوق السهوب
لا عودَ ، لا نظرةَ للوراء .
وخلف «نيبريادفا» ٭ صاحت البجع
وها هي من جديد تصيح . . .

امامنا صعاب مريرة
وخلف النهر جحافل التتار
والراية الوضيئة فوق ألويتنا
أبداً لن تخفق بعد الآن .

يقول لي صديقي منكساً رأسه :
«فلتشحذ سيفك ، واستعد
كيما نقارع التتار عن حق ،
نستشهد في سبيل القضية المقدسة !»

٭ نهر يلتقي مع الدون . في هذا المكان عبرت قوات ديمتري دونسكوي الى ميدان كوليكوفو — **المعرب** .

لستُ اول محارب ، ولن اكون الأخير
ومرض الوطن سوف يطول .
فلتذكرينى فى صلاة الفجر
يا صاحبتى العزيزة ، يازوجى الحنون !

٨ يونيو ١٩٠٨

٣

فى الليلة التى ربض فيها ماماى بجحافله
فوق السهوب والجسور
كنتُ واياك فى الميدان المظلم
فهل كنتِ تعرفين ؟

أمام الدون المظلم المستطير
وسط الحقول فى الليل
سمعتُ بقلبى المتنبئ
صوتك فى صياح البجع .

فى نصف الليل هبت كالسحابة
عساكر الأمير ،
وفى البعيد ، البعيد تعلقت بالركاب
أمٌّ تنوح .

وفى المدى حوَّمت طيور الليل
ترسم دوائر

والبروق الساكنة فوق روسيا
حرست ركب الأمير .

صياح العقبان فوق معسكر التتار
ينذر بالشر
والتفَّت مياه «نيبريادفا» بالضباب
كأميرة فى طرحة العرس .

ومع ضباب «نيبريادفا» المنير
هبطتِ عليَّ
فى ثياب تنشر النور
ولم يجفل حصانى .

لمعت موجةً فضية
على سيف الحبيب
ومسحتِ غبار الدروع
فوق كتفى .

وفى الصباح حين هجمت الجحافل
كغيمة سوداء
فى الدرع كان وجهك الخالد
مشرقاً الى الأبد .

١١ يونيو ١٩٠٨

٤

انحنت الاعشاب فوق الأرض
فى حزنها المقيم
وخلف ضباب النهر من جديد
تناديننى من بعيد . . .
غابت وضاعت بلا أثر
قطعان خيول السهوب
وعربدت شهوات وحشية
تحت نير القمر فى المحاق .

وأنا بحزنى المقيم
كالذئب تحت القمر فى المحاق
لا أدرى ما أفعل بنفسى
الى أين اطير وراءك ؟

اسمع ضربات السيوف
وصيحات التتار المدوية
وأرى فوق روسيا بعيدا
حريقاً عريضاً ساكناً .

واركض فوق فرس أبيض
تنتابنى كآبة هائلة . . .
وألقَى سحبا طليقة
عاليا فى ظلام الليل .

من قلبى المكلوم تصعد
افكار مشرقة
وتسقط الأفكار المشرقة
محروقة فى النار السوداء . . .

«تعالىْ ، اعجوبتى العجيبة !
علّمينى كيف يكون الصفاء !»
اشرأبت اعراف الخيول
والسيوف تنادى والرياح . . .

٣١ يوليو ١٩٠٨

٥

بظلام شرور لا تُردّ
تلفّع يوم الغدِ .
فلاديمير سولوفيوف

على ميدان كوليكوفو من جديد
طلع الظلام وانتشر
وكأنما بغيمة قاتمة
تلفع يوم الغدِ .

وراء هذا السكون العميق
وتحت الظلام المنساب

لا يُسمع صخب المعركة العجية
ولا ترى بروق القتال .

لكننى عرفتك ايها الحقل
يا مهد الأيام القلقة السامية
وفوق معسكر العدو مثلما آنذاك
يتردد صياح البجع .

لا يستطيع القلب ان يعيش فى هدوء
والغيوم تتجمّع لغرض
والدرع ثقيلة مثلما قبيل القتال
ها قد دقّت ساعتك . . فصلٌ !

٢٣ ديسمبر ١٩٠٨

روسيا

كما فى الأيام الخوالى الجميلة
تهفهف سيور الخيول القديمة
وتنغرز اسلاك العربة المزخرفة
فى الطريق المخدّد الموحل . . .

روسيا ، يا روسيا الفقيرة ،
بيوتك الخشبية الرمادية
وألحان اغانيك الريحية
هى لى كأولى دموع الحب !

أنا لا أكنّ لك الرثاء
احمل صليبى وأصونه . . .
فلتعطى جمالك الوحشى
لأى ساحر تشائين !

وليغوِيكِ ، وليخدعنّكِ
فلن تضيعى ، لا ، ولن تهلكى
الهمّ وحده سيغلف
قسماتك الرائعة . . .

لا بأس ، همّ يضاف الى الهموم
ودمعة فى نهر الدموع
وانتِ ، كما كنت ، غابةٌ وحقل
ومنديل مطرز يغطى الجبين . . .

لايستحيل المحال
ويسهل الطريق الطويل
حين تومض من تحت المنديل
نظرتك الخاطفة فى افق الطريق
حين ترن وحشة السجون
فى اغنية الحوذى المكتومة ! . .

١٨ أكتوبر ١٩٠٨

يوم خريفي

على مهل في الحقل المحصود
نسير معـــــاً يا صديقى الودود
والقلب يفيض بمكنونه
كما فى كنيسة ريفية مظلمة .

يوم الخريف هادئٌ وصحو
لا يسمع غير نعيق غراب
أجشٍ ، ينادي رفاقه
وعجوزٍ تغالب السعال .

الدخان المنخفض يغطى الأهواء
ونحن واقفان تحت السقيفة
نتابع بنظرات طويلة
سرب اللقالق المحلق . . .

تطير بزاوية منحرفة
ويخفق قائدها ويبكي
فماذا يقول رنين الخفيق ؟
وما الذى يعنيه بكاء الخريف ؟

القرى الفقيرة المنخفضة
لا تُحصى ولا يحدها البصر

وفى غسق المغيب تشتعل
نار فى مرج بعيد .

أواه يا وطني الفقير
ماذا تعني للقلب ؟
أواه يا زوجى المسكينة
عمَّ تريقين الدموع ؟

١ يناير ١٩٠٩

° ° °

روسياي ، ياحياتى ، أ كُتبَ علينا معاً العذاب ؟
القيصر ، وسيبيريا ، ويرماك ، والسجون !
آهٍ ، أما آن أن نفترق ، أن نتوب . . .
فما للقلب الحر وظلامك ؟

هل كنت تدركين ؟ أم كنت تؤمنين ؟
وهل يُعرف شيء من غنائك ؟
صنعت قبائلك المعجزات ، شقت الدروب
فى المستنقعات ، ومدت الطرق وعلاماتِ الفراسخ . . .

ونجرتِ من الخشب الأفلاك والمدن على الانهار
لكنك لم تبلغي القسطنطينية المقدسة . . .
أطلقتِ صقورك وبجعك فى السهوب
فاندفعتْ من السهوب الظلمةُ السوداء . . .

من وراء البحر الأسود ، والبحر الأبيض
فى الليالى السود والأيام البيضاء
يطل وجه بليد وحشي النظرات
عيون التتار تقدح الشرار . . .

هالات الحريق الساكنة الطويلة
تعلو كل ليلة فوق مضاربك
لماذا تلوحين ايتها الظلال الناعسة
لماذا تعذبين روحي الحرة ؟

٢٨ فبراير ١٩١٠

فى محطة القطار

الى ماريا بافلوفنا ايفانوفا

فى خندق الطريق بين الاعشاب
ترقد محدقةً كأنها حية
وفى المنديل المورَّد الملقى على الضفائر
بدت جميلة ، صبية .

فيما مضى كانت تأتى بوقار
الى الصفير والضجيج خلف الغابة القريبة
فتدور حول الرصيف الطويل
وتنتظر فى اضطراب تحت السقيفة .

وتقترب عيون ثلاث ساطعة مندفعة
فيتضرج خداها وتنتشر خصلاتها

فربما حدجها أحد المسافرين
بنظرة من النوافذ العابرة . . .

تمر العربات فى انتظامها المعهود
فى الصرير والصخب
الصمت يلف العربات الصفراء والزرقاء
وفى الخضراء يعلو النحيب والغناء .

وينهض الناعسون خلف النوافذ
ويطوفون بنظرات لامبالية
على الرصيف والبستان والخمائل الذاوية
وعليها ، وعلى الدركي الواقف بجوارها . . .

مرة واحدة رماها خيالٌ
معتمداً بذراعه على المخمل الأحمر
بنظرة وابتسامة رقيقة
وسرعان ماغاب مع القطار .

هكذا مرَّ صباها العقيم
وقد انهكتها الأحلام المجدبة . . .
وصفَّرت ، ممزقة قلبها
وحشةُ المحطات الحديدية . . .

أي قلب ! من زمان نُزع القلب !
وما أكثر ما انحنت كي تحيي

وما أكثر ما حدقت بنهم
فى عيون العربات الخاوية . . .

لا تجيئوا اليها بأسئلتكم —
كفاها . . وأنتم يستوي عندكم
أ كان الذى داسها الحب أم الوحل ، أم العجلات
ولكنه مؤلمُ .

١١ يونيو ١٩١٠

° ° °

تعكرت سماء بتروجراد بالمطر
ومضت القطارات الى الجبهة
فصيلةً اثر فصيلة ، وبندقية وراء بندقية
يملأ الجنود العربة تلو العربة .

فى هذا القطار أينعت آلاف الأعمار
آلام الفراق وهواجس الهوى
القوة والصبا والآمال . . وفى افق المغيب
تصاعدت سحب الدخان مضرجة بالدم .

غنى بعضهم ، وهم يركبون عن «فارياج»
والآخرون غنوا عن «يرماك»
وصاحوا «هورا» واطلقوا النكات
واليد ترسم خفية علاقة الصليب .

هبت الريح فسقطت ورقة ذابلة
وتمايل المصباح وراح يومض
وتحت الغيمة السوداء دوى النفير
مطلقاً نوبة الرحيل .

ناح النفير عن المجد الحربي
مالئاً بالقلق القلوب
وطغى ضجيج العجلات والصفير الأبح
على صيحات «هورا» بلا نهاية .

اختفت فى الظلام آخر العربات
وحلَّ الهدوء حتى الفجر
ومن الحقول الممطَرة ظلت تتناهى «هورا»
وفى الصيحة الرهيبة سمعنا «بورا»*

كلا ، لم نشعر بالأسى ولا بالرثاء
رغم الآماد المتشحة بالأمطار
ذلك فولاذ جليّ ، صلب ، قاطع
فهل هو بحاجة إلى أسانا ؟

رثاؤنا سيطغى عليه الحريق
وهدير المدافع ووقع سنابك الخيل

---

* كلمة «بورا» (وتلفظ : بارا) تعنى فى الروسية : حان الوقت — المعرب .

وآسانا سيلفه البخار السام
المتصاعد من الحقول البعيدة الدامية . . .

١ سبتمبر ١٩١٤

° ° °

من ولدوا في عصور الظلام
قد نسوا دربهم .
لكننا ابناء سنين الرعب ، يا روسيا ،
لا نقوى على النسيان .

يا سنيّ الدمار !
أ نذير الجنون تخبئين أم بشرى الأمل ؟
على الوجوه ظلال بريق دموية
من أيام الحرب . . وأيام الحرية

على الشفاه الخرس
جمَّد صوت النذير الكلام
في القلوب ، التى رفَّ فيها الأمل ،
يستقر الخواء .

فلتحلق فوقنا الغربان ناعقة
وقد توسدنا فراش الردى

وليرَ من كان اجدر منا ، الهي
ملكوت السماء !

٨ سبتمبر ١٩١٤

الحدأة

تحوم الحدأة فوق المرج الناعس
فى دائرة ناعمة تلو دائرة
متطلعة الى المرج الخاوى
وفى البيت تناجى ام حزينة ولدها :
«خذ يا بني خبزةً ، خذ يا بني ثديـي
واكبرْ وكن مطيعا ، واحملْ الصليب» .

وتمضي القرون ، وتستعر الحروب
وتندلع الثورات ، وتشتعل القرى
وأنتِ كما كنتِ يا بلادي
فى جمالك العريق الباكي
إلامَ تكابد الأم الاسى ؟
إلامَ تحوم الحدأة ؟

٢٢ مارس ١٩١٦

من مجموعة «اغانى الريح» (١٩١٣)

° ° °

حتى فى بيتك الهادئ ياحبيبتى
تجتاحنى الحمى . . .
فى بيتك الهادئ لا مكان لى
بجوار موقد حنون !

اصوات تغنى ، وزوبعة تعول
رهيبة هى راحة البيت . . .

تترصدنى عيون مجهولة
حتى من خلف كتفيك .

واسمع حفيف اجنحة
من خلف كتفيك الدافئتين . . .
ويلفحنى بنظرات محرقة
عزرائيل — ملاك الموت !

اكتوبر ١٩١٣

قصائد لم تتضمنها المجموعات الأساسية (١٨٩٨ — ١٩٢١)

° ° °

من اجل حلم خاطف قصير
يتراءى اليوم ويختفى غدا
يهيم الشاعر الشاب
مستعدا حتى للردى .

لكننى لست من أمثاله
فلو خلبت لبى الأحلام

سأثور وأخفق بجناحى
فأنضو عنى الأغلال .

اعود للقلق ، اعود للطموح
ومن جديد اتلهف
الى معارك الحياة واناشيدها
حتى تعود الأحلام .

٢٥ ديسمبر ١٨٩٩

° ° °

ان تلقى بأحلامك الالهية
على اقدام صنم حقير
وتمجد ديار السلام
فى خضم الحرب والمذابح

وتحدق فى برودة الظلام
بحثاً عن النور والنار —
هذا هو قدرك الغريب القاسى
يا مَنْ ولدتَ شاعرا !

ربيع ١٩٠٠ (٢١ ديسمبر ١٩١٤)

أبو الهول

تحركت اعجوبة الصحراء الصامتة
رفعت رأسها . . ما أعلاه !
ارتعش كلام آلهة مغضبة
وأوشك ان يفلته اللسان . . .

تكسر الحاجب فى قوس غاضب
وانغرست المخالب فى الرمال . . .
سأسمع كلمة **الحب** المنسية
بلغة منسية تعود للحياة .

لكن الأقدام تعود كما كانت
دون ان تغوص فى الرمال
وتبقى امامى اسراراً ورموزا ،
انشودةَ حلمٍ محال .

٨ نوفمبر ١٩٠٢

اهداء الى دار بوشكين*

دار بوشكين الادبية !
اسم قريب الى الفؤاد

---

* اكبر متحف اكاديمى للآداب فى لينينجراد — **المعرب**.

له ماله من معان
تخفق له القلوب !

فيه هدير جليد يتحطم
على النهر المهيب
فيه سفن تتنادى
بصفاراتها من بعيد .

فيه تمثال ابى الهول المتطلع
الى مجرى الأمواج الوئيد
والفارس البرونزى الواثب
على حصانه الحديد .*

فيه احزاننا واشواقنا
فوق النهر المسحور
حيث استقبلنا أسود أيامنا
فى تلك الليلة النارية البيضاء .

كم من آفاق رائعة
كشفها لنا النهر !
ولم نكن نتطلع اليها
بل نستشرف قادم العصور .

---

* تمثال لأبى الهول على شاطئ نهر النيفا ، والفارس البرونزى تمثال لبطرس الأكبر فى لينينغراد — **المعرب** .

لا نبالى بالخداع العابر
بالهموم اليومية الثقال
نستشف عبر غشاوتها المضبّبة
الحلم الوردى الشفيف .

غنينا وراءك يابوشكين
نشيد الحرية فى الخفاء
فمدَّ الينا يدك عبر الأنواء
وفى صراعنا الصامت آزرنا !

ألم تكن نغماتك العذبة
الهامنا فى تلك السنوات ؟
ألم تكن بهجتك يابوشكين
اجنحة لنا آنذاك ؟

لهذا يخفق القلب حبا
وتلمع فى العيون الدموع
عندما يتردد الاسم العزيز :
دار بوشكين الأكاديمية .

لهذا حين اغادر فى الغروب
ساحة «السينات» البيضاء
لأغوص فى ظلام الليل
انحنى لهذه الدار فى خشوع .

١١ فبراير ١٩٢١

الاثنا عشر

١

الليل أسود
والثلج ابيض
والريح — يالها من ريح !
لا يقوى على الوقوف بوجهها انسان
الريح ، الريح
تهب على الدنيا كلها !

تفتل الريح
خيوط الثلج البيضاء
وتحت الثلوج زلق الجليد
ما اصعب الطريق !
يزلق عليه العابر
يقع المسكين !

من مبنى الى مبنى
حبل ممدود ،
وعلى الحبل لافتة :
«كل السلطة للجمعية التأسيسية !»
عجوز تولول باكية
لا تفهم معنى الكلمات
ما جدوى هذه اللافتة ؟
هذه القطعة الضخمة من القماش !
آه لو حكنا منها قمصانا للأولاد !
فالكل عراة ، حفاة . . .

تخطو العجوز فوق كوم الثلج
كفرخة مقوقئة :
— أواه ، ياعذراء ، ياشفيعة !
— الى الهلاك يسوقنا البلاشفة !

الريح لاسعة
والبرد ألسع .

والبرجوازى واقف عند مفرق الطريق
يخبئ انفه فى ياقة معطفه .

ومن ذاك الواقف ؟ بشعره الطويل
مدمدماً لنفسه :
— يا للخونة !
— ضاعت روسيا !
لا بدَّ انه كاتب
فصيح اللسان . . .

وها هو أبونا فى مسوحه الطويلة
يدور حول الكومة الثلجية فى احتراس . . .
ما بالك تبدو اليوم حزيناً
ايها الرفيق القس ؟

اتذكر كيف كنت تمشى وقورا ،
فخورا بكرشك
يتوهج بصليب
يبهر العيون ؟

وتلك سيدة فى فرو استراخان
تلتفت الى اخرى وتقول :
— كم بكينا ، كم بكينا ! . .
وزلَّت القدم
فانطرحت فى وسط الطريق !

الحقوا ، الحقوا !
ساعدوها ، انهضوها !

الريح تتشاقى
غلاً وشماتة
تلوى الأذيال
وتحصد العابرين
وتمزق ، وتجعد ، وتعبث
باللافتة الضخمة :
«كل السلطة للجمعية التأسيسية !»
حاملة اطراف كلمات :

. . . نحن أيضا كان عندنا اجتماع . . .
. . . فى هذا المبنى . . .
. . . ناقشنا . . .
وقررنا :
لبعض الوقت بعشرة ، ولليلة بخمسة وعشرين . . .
ولا خصم فى الأسعار لأىٍّ كان . . .
. . . هيا بنا ننام . . .

الوقت متأخر . . .
والشارع مقفر . . .
لا أحد سوى متشرد
منكمش ،
والريح تصفِّر . . .

تعالَ
يا مسكين !
دعنا نتعانق ! . .

أريد خبزاً !
ماذا أمامنا ؟
سر فى طريقك !

السماء سوداء حالكة
والحقد الكثيب
يغلى فى الصدور
الحقد الأسود
الحقد المقدس . . .

انتبه يارفيق
وافتح عينيك !

٢

الريح تصول ، والثلج يتطاير
اثنا عشر رجلا يسيرون
بسيور بنادق سوداء
وحولهم — اضواء ، اضواء ، اضواء . . .

بين الاسنان سيجارة ، والقبعة مغضنة
ما اجدر ان تحمل على الظهر علامة السجون ! *
ما احلى الحرية
الحرية بلا صليب !

ترا — تا — تا !

ما أبرد الليل يارفاق ، ما أبرده !

— فانكا مع كاتكا الآن فى الخمّارة
— لديها نقود تخبئها فى جرابها . . .

— هو أيضا صار اليوم غنياً . . .
— لم يعد منا ، دخل الجندية . . .

— آه يافانكا ، ياابن الكلب ، يابرجوازى ،
أيّاك ان تغازل صاحبتى ، أيّاك !

ما أحلى الحرية ،
الحرية بلا صليب !
كاتكا مشغولة مع فانكا . . .
بم مشغولة ياترى ؟

---

* علامة كانت توضع على ظهور المساجين فى روسيا القيصرية على شكل آس دينارى — **المعرب** .

ترا — تا — تا !

من حولهم — اضواء ، اضواء ، اضواء . . .
وعلى اكتافهم سيور بنادق سوداء . . .

سيروا بالخطوة الثورية !
العدو متربص ، لا ينام !

شدّ على الزناد يارفيق ، لا تهب !
ولنطلق على روسيا المقدسة الرصاص —
روسيا الجمود
روسيا الاكواخ
روسيا السمينة الأرداف !

ما أحلى الحرية
الحرية بلا صليب !

٣

هيا بنا يا شباب
لننخرط فى الحرس الأحمر
لنخدم فى الحرس الأحمر
ولنضحّ بالحياة !

آه يا حظى العاثر
ما أحلى الدنيا —
بدلة مهترئة
وبندقية قديمة !

كيداً فى البرجوازيين
سنشعل الدنيا حريقا
حريقا دمويا عالميا
بركاتك يارب !

٤

يدوِّم الثلج . . تعصف الريح
والحوذى المتهور يصيح
وتطير العربة فيها فانكا مع كاتكا
وعلى قوسها مصباح كهربى . . .

هو فى معطف جندى
سحنته بلهاء
شاربه الأسود
يفتله بفتوة
وينكّت — ما أحلاه !

آه يافانكا ، ما أحلى كلامك !
آه يافانكا ، ما أعرض اكتافك !

داخت كاتكا الحمقاء
فى احضانك . . .

ادارت وجهها اليك
بهرتك بلؤلؤ الاسنان
آه ، ياكاتكا ، ياملعونة ،
يابنت الشيطان . . .

٥

فى جيدك ندبة جرح
تركته المدية
وتحت ثديك جرح آخر
لم يندمل بعد !

ارقصى ، ارقصى
عن ساقك الحلوة اكشفى !

كنتِ فى «الدانتلا» تتبخترين
فتبخترى ، تبخترى !
ومع الضباط تفجرين —
فافجرى ، افجرى !

افجرى ، افجرى !
قلبى يخفق فى صدرى !

أتذكرين ذلك الضابط ؟
. . أدركه خنجرى . . .
ام نسيته يا ملعونة ؟
ربما شاخت ذاكرتك ؟

فانعشيها ، انعشى
ونامى الليلة معى !

كنت تأكلين الشكولاتة
وترتدين أفخر الجوارب
وترافقين الضباط
وصرتِ اليوم من نصيب الجنود .

فاخطئى ، اخطئى ،
خففى عن خاطرى !

٦

وها هى العربة تعود طائرة
وها هو سائقها يصرخ صائحا . . . —

قف ، قف ! اسرع يا أخى
وانت ، ساعدنا من الوراء ! . .

طراخ — طراراخ — طاخ — طاخ — طاخ — طاخ !
فاندفع غبار ثلجى الى السماء .

يفر السائق . . ومعه فانكا . . .
اضرب ثانية ! شدّ على الزناد !

طراخ — طراراخ ! ستعرف ياوغد
. . . . . .
كيف تلهو بفتيات الآخرين !

هرب الوغد ! لا بأس ،
سأسوى حسابى معك !

وأين كاتكا ؟ انها ميتة
اصابها فى رأسها الرصاص !

مبسوطة هكذا يا كاتكا ؟ لا تردين . . .
فانطرحى ، يا جيفة ، على الجليد !

سيروا بالخطوة الثورية
العدو متربص ، لا ينام !

٧

ويمضى الاثنا عشر من جديد
على الاكتاف حاملين البنادق

والقاتل التعيس وحده
يخفى وجهه المربد عن الآخرين . . .

يستعجل الخطى
يسرع بالمسير
قد ربط المنديل حول عنقه
لا يقوى على كبح اضطرابه !

— ما لك حزين يارفيق ؟
— ما لك مطرق ياصديق ؟
— والهمّ استولى عليك ؟
اخذتك بكاتكا الشفقة ؟

— آه يارفاق ، يا اخوانى !
كم كنت احب هذه الفتاة . . .
كم من ليالٍ سوداء ، مخمورة
قضيت بين ذراعيها . . .

آه من جسارتها الهوجاء
فى عينيها الناريتين
آه من الشامة القرمزية
عند كتفها ، الى اليمين !
قتلتها ، أنا ، المخبول ،
قتلتها فى نوبةٍ من الجنون

— دعك ، يا أخى ، غيِّر النغمة !
ألست رجلاً يا بتروخا ؟
— اتريد ان تروح عن نفسك . . حسنا . . هيا ! . .
— تمالك نفسك !
— اصلب قامتك !
— فى زماننا القاسى

لا مكان للتدليل
يا رفيقنا العزيز
فى انتظارنا شدائد
اصعب بكثير ! . .

ويباطئ بتروخا
من خطواته المسرعة . . .

ويرفع رأسه
ويعاوده المرح . . .

آى ، آى !
من قال التسلية حرام ؟

اوصدوا أبوابكم !
سننهب أموالكم !

افتحوا اقفال الأقبية
الصعاليك الليلة يمرحون !

٨

آه ، شقائى ، ما أمرك !
يا وحشتى ، ما أوحشك !
يا وحشتى ، يا قاتلة !

هيا ، سأفرّج همى . . .
هيا . . هيا . . .

هيا ، سأسلّى نفسى . .
هيا . . هيا . .

هيا ، واقشّر لبًّا . .
هيا ، هيا . . .

هيا ، العب بالخنجر . . .
هيا . . هيا . . .

يا بورجوازىْ ، لو تطير كالعصفور
لن تفلت ، اشرب من دمّك
منتقما لحبيبتى ،
سوداء الحاجبين . . .

يارب تغمد بالرحمة
روح عبدتك . . .

يا لها من كآبة !

٩

لا تُسمع ضجة المدينة
وفى برج القلعة ساد الصمت
ولم يعد للشرطة وجود
فلنسكر — بالحرية — دون نبيذ !

برجوازى يقف عند مفرق الطريق
مخبئاً انفه فى ياقة معطفه
يلتصق بساقيه كلب اجرب
يرتعش طاويا ذيله .
يقف البرجوازى كالكلب الجائع
يقف صامتا ، كعلامة استفهام
ومن ورائه يرتعش العالم القديم
طاويا ذيله كالكلب الضال .

١٠

عربدت الزوبعة الثلجية
يالها زوبعة ، يا لها زوبعة !
لم يعد المرء يرى شيئا
على بعد خطوات !

الثلج يتلوى فى دوامة
الثلج يتصاعد كالعواميد . . .

— يارب خلّصنا من هذه البلوى !
— كفى يا رجل !
دعك من ادعيتك !
مم خلصتك الصلوات ؟
أين الوعى اذن ؟
فكّر بالعقل
أو ليست يداك ملطختين
بدم عشيقتك كاتكا ؟
سيروا بالخطوة الثورية !
العدو قريب لا ينام !

الى الامام يا شعبا عامل
الى الامام ، الى الامام !

١١

ويمضى الاثنا عشر الى الآفاق
لا صليبَ على صدورهم
ولا خوفَ فى قلوبهم
ولا أسفَ على ما فات .

بنادقهم الفولاذية مصوّبة
الى عدو لا يرى
الى ازقة مقفرة
حيث تجوب الزوبعة باذرة غبارها . .

حيث تغوص الاحذية
فى أكوام الثلج الرخوة

ترفرف الراية الحمراء
ملتهبة فى العيون

وتدبّ الأقدام
بوقع موزون . . .

حذار سيستيقظ
العدو اللدود . . .

يمضون وغبار الزوبعة فى عيونهم
ليل نهار
ليل نهار . . .

الى الأمام ، يا شعبا عامل
الى الأمام ، الى الأمام !

١٢

سائرون للمدى فى خطوات مهيبة . . .
— من بقى هناك ؟ اخرج !
انها الريح تعبث لاهية
بالراية الحمراء فى الأمام . . .

فى طريقهم كومة ثلج متجمدة . . .
— يا من تختفى وراءها ؟ اخرج !
لا احد غير كلب ضال جائع
يجرجر قوائمه فى الظلام . . .

— ابتعد عنى ، ايها الأجرب !
حربتى حادة — ايَّاك !
ايها العالم البائد ، يا كلبا اجرب
غُرَّ من وجهى . . . سأطعنك !

لا يبتعد الذئب الجائع ،
يطوى ذيله مكشرا عن الأنياب
كلب شرير ، حقير ، مقرور . . .
— من يسير هناك ؟ أجب !

— من ذا الذى يلوح براية حمراء ؟
— لست اراه فى الظلام !
— من ذا الذى يسرع هناك ،
متخفيا خلف الجدران ؟

— لن تهرب منى ، سوف أدركك !
الافضل ان تستسلم حيا !
— افضل لك ، يا رفيق ، ان تخرج
قبل ان نطلق النار !

طراخ — طاخ — طاخ ! ردد الصدى مدوياً
فى دهاليز البيوت . . .
وضحكت الزوبعة طويلاً
رنت ضحكتها بين اكوام الثلوج . . .

طراخ — طاخ — طاخ !
طراخ — طاخ — طاخ !

. . . ويمضون فى مسيرتهم المهيبة
وخلفهم كلب جائع ،
وامامهم . . مع راية مضرجة
لا يُرى فى هيجان العاصفة ،
سليماً . . لا يناله الرصاص
يخطر فوق ثلج العاصفة
بطلعةٍ متلألئة كالثلوج
فى اكليل من ورود بيض
يسير يسوع المسيح .

يناير ١٩١٨

الاسقوثيون *

المغولية ! يالها من كلمة وحشية
لكنها عذبة الوقع على سمعى .
(فلاديمير سولوفيوف)

أنتم ملايين ، ونحنٍ جحافل وجحافل
هيا اذن ونازلونا ، جرّبوا !
اجل ، نحن اسقوثيون ، اجل آسيويون
بعيون مزرورةٍ جشعة !

---

* كتبت هذه القصيدة فى فترة التدخل المسلح لأوربا الرأسمالية ضد الجمهورية الروسية السوفييتية الوليدة — **المعرب** .

دهوركم مرت لدينا مثل لمحة
حين كنا نقف كخدم مطيعين
درعاً بين الجنسين المتعاديين :
بين المغول وأوربا !

طوال دهور وفرنكم القديم يصهر الحديد
هديره يطغى على زمجرة الرعود
وكان انهيار لشبونة وماسينا
اسطورة مرعبة لكم .

طوال قرون وانظاركم مصوبة الى الشرق
تجمعون كنوزنا وتعيدون سبكها
منتظرين باستهزاء أن تحين الساعة
لتسددوا فوهات مدافعكم نحونا .

وها قد حل الموعد ، ورفَّ الخطب بجناحيه
والضغائن تتكاثر بمرور الأيام
وسيأتى يوم لن يُبقي أثراً
من أطلالكم القديمة !

يا أيها العالم القديم ! قبل أن تموت
واذ تكابد عذوبة الآلام
أفق ، وقف حكيما مثلما أوديب
امام ابى الهول ولغزه العريق قد وقف !

روسيا أبو الهول . . مبتهجة ، آسية
مضرجة بالدماء السوداء .
تنظر إليك ، تنظر محدقةً
بكراهية ومحبة !

أجل ، لم يبق بينكم أحد
يحب مثلما عروقنا تحب
وقد نسيتم ان فى الدنيا من الهوى
ما تحرق نيرانه وتدمر !

قلوبنا تحب كل شىء : لظى العقول الباردة
وهبةَ الأحلام الالهية .
عقولنا تدرك كل شىء : ومضات فكر الغال المرحة
وعبقرية الجرمان العابسة

ذاكرتنا تحفظ كل شىء : جحيم شوارع باريس
وطراوة نسيم البندقية
وأريج بساتين الليمون البعيد
ومدينة كولن بمداخنها الهائلة .

نحب الجسد البشرى بمذاقه ولونه
نحبه حتى برائحة الموت الخانقة .
فما ذنبنا لو تحطمت عظامكم
فى احضاننا الثقيلة الحنون ؟

وقد تعودنا ونحن نلجم
خيولنا الجامحة اللعوب
ان نكسر عظام ظهورها القوية
ونروِّض اسيراتنا العاصيات ! . .

تعالوا إلينا ! هرباً من أهوال الحرب
تعالوا الى احضاننا المسالمة
قبل فوات الأوان اعيدوا سيفكم القديم الى غمده
يا رفاق ! فلتكن اخوة !

وان لم تفعلوا ، فلن نخسر شيئا
فالغدر ايضا ليس غريبا علينا
وسوف تطاردكم طوال الدهور
لعناتُ ذريتكم المريضة القادمة .

سنفتح رحاب ادغالنا وغاباتنا ،
أمام أوربا المهذبة ،
على مصراعيها ! ونستدير نحوكم
بسحنتنا الآسيوية الدميمة .

تعالوا ! تعالوا كلكم الى الأوال !
وسنفسح هناك مكانا للقتال
بين الآلات الفولاذية وليدة العلوم
وبين جحافل المغول البرابرة !

لن نعود بعد الآن درعا حامية
ولن نخوض بأنفسنا القتال
ستتابع أوار المعركة الضارية
بعيوننا المزرورة الضيقة

ولن نحرك ساكنا حين يندفع الهوني المتوحش
منقباً فى جيوب جثث قتلاكم
ويحرق المدن ويربط خيله فى الكنائس
ويشوي لحم اشقائه البيض ! . . .

للمرة الأخيرة . . عد الى صوابك ايها العالم القديم !
هيا الى وليمة العمل والسلام والأخوة
الى وليمة الاخاء النيّرة . . للمرة الأخيرة
تدعوك مناديةً قيثارة البرابرة !

٣٠ يناير ١٩١٨

الى القراء

ان دار «رادوغا» تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكى بولفار ، ١٧

موسكو — الاتحاد السوفييتى

ИБ № 1316

Редактор русского текста *А. А. Шагалов*
Контрольный редактор *Т. А. Правдина*
Художественный редактор *С. Е. Барабаш*
Технические редакторы *Л. Б. Чуева, С. Ф. Сизова*

Сдано в набор 09.04.85 г. Подписано в печать 19.12.85г.
Формат 84×100¹/₃₂. Бумага мелованная. Гарнитура арабская. Печать офсетная. Условн. печ. л. 12,09.
Услови. кр.-отт. 48,36. Уч.-изд. л. 6,40.
Тираж 9550 экз. Заказ № 377. Цена 90 к.
Изд. № 1655.

Издательство „Радуга“ Государственного комитета СССР по делам издательств, полиграфии и книжной торговли.
Москва, 119859, Зубовский бульвар,17.

Можайский полиграфкомбинат Союзполиграфпрома при Государственном комитете СССР по делам издательств, полиграфии и книжной торговли.
Можайск, 143200, ул. Мира,93.